THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

توفيق الفكيكي

عبد الله الجبوري

بغداد
١٣٩٠هـ - ١٩٧١م

توفيق الفكيكي

دراسات ونصوص

(١٩٠٠م - ١٩٦٩م)

عبد الله الجبوري

بغداد - مطبعة الأرشاد
١٣٩٠هـ - ١٩٧١م

CT
1919
.I7
F83

MR
APR 13 1983
29769 F

بسم الله الرحمن الرحيم

الابتدائية في المدرسة البارودية في العهد العثماني ثم دخل المدرسة الرشدية الملكية حتى احتلال بغداد ثم دخل دار المعلمين الابتدائية فمارس مهنة التعليم مدة ، ثم استقال ودخل كلية الحقوق ، وبعد خروجه منها مارس المحاماة ، لكنه لم ينقطع عن المطالعة والدرس ، فواصل دراسة علم أصول الفقه على الشيخ كاظم الساعدي أثناء وجوده في سامراء لممارسة القضاء ، ودرس علم المعاني والبيان عند بعض العلماء أيضاً فأتم أصول الفقه والكلام ، وكان مرجعه الوحيد في حل المشاكل الفقهية الحجة الاكبر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء كما كتبه الينا بخطه ، وقد أنجز خلال هذه المدة عدة تآليف هامة جليلة ، طبع عشرة منها ، ولا يزال الباقي مخطوطاً ،

فمن الأول : سفره : (الراعي والرعية) شرح فيه عهد أمير المؤمنين عليه السلام الى عامله مالك الأشتر حين ولاه مصر ، قارن فيه بين القوانين الحديثة وبين قواعد الحكم في الاسلام ، وهو كتاب فريد يقع في جزئين ، قرظه جمع من أعلام الشيعة وأدبائهم ، وكتبت عنه أكثر المجلات والجرائد العربية في الاقطار ،

وكتاب (المتعة) في الفقه فند فيه أقوال المخالفين القائلين بتحريم نكاح المتعة ، وهو اول كتاب في الفقه على الطريقة العلمية الحديثة ، طبع في النجف (١٣٥٦هـ) ، وكان المترجم يومذاك حاكماً بها وقدم له الامام المبرور الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، وقرظه ايضاً العلامه الجليل الشيخ هادي آل كاشف الغطاء . و (سكينة بنت الحسين) طبع مرتين في شهر واحد . و (مقالات في الحجاب والسفور) ، ورسالة في سياسة الامام الصادق .

ومن المخطوط (هشام بن الحكم) تناول فيه تنزيه عقيدة هشام تلميذ الامام الصادق (ع) و (دراسات في الفقه والقانون المقارن) و (القومية

الاسلامية) أو جنسية القرآن وغيرها ذكرنا الجميع في (الذريعة) كلاً في بابه ، وقد أصدر جريدة (الرعد) بمناسبة الحرب الفلسطينية وقد عطلتها السلطة العسكرية ، وفي (١٩٥٢م) قام برئاسة تحرير جريدة (القبس) وبالجملة فالمترجم في طليعة المفكرين الذين خدموا النهضة العلمية والادبية في العراق • وقد ضرب في الحركات الوطنية والسياسية بسهم وافر ، وقد انتخب هذا العام (١٩٥٤م) عضواً في مجلس الأمة ، ابقاه الله ووفقه لخدمة العلم والأدب • انتهى

* * * *

آثار توفيق الفكيكي :

أولاً ـ المطبوعـة :

١ ـ أدب الفتوة ، أو الدعاية العسكرية عند العرب ، النجف ـ ١٩٤١م •

٢ ـ أقرب الوسائل لنشـر الحضارة الصحيحة في العـراق ، النجف ـ ١٩٣٨م •

٣ ـ بحث فقهي حول فتوى الامـام آية الله السيد أبو الحسن في حكم الجهاد والدفاع الشرعي ، بغداد ١٩٤١م •

٤ ـ الحجاب والسفور ، بغداد ١٩٢٧م •

٥ ـ الدين والاخلاق ، النجف ١٣٥٧هـ •

٦ ـ الراعي والرعية :

الطبعة الأولى ، النجف ، ١٩٣٩م ـ ١٩٤٠م ، جزءان •

الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٦٢م •

٧ ـ سكينة بنت الحسين :

الطبعة الأولى ، النجف ١٩٥٠ .

الطبعة الثانية . بغداد ١٩٥١م ، وصدر من سلسلة كتاب الشهر ، التي كان يصدرها في الكاظمية الأستاذ عبدالأمير السبيتي .

٨ ـ شجرة العذراء يصورها أدب النخيل ، بغداد ١٩٦٢م .

٩ ـ الصادق ، الامام جعفر بن محمد ، بغداد ١٣٦٦هـ .

١٠ـ المتعة :

الطبعة الأولى : النجف ١٩٣٧م .

الطبعة الثانية : القاهرة ، ١٣٨١هـ .

١١ـ المعاهدات في الاسلام ، بغداد .

١٢ـ هجوم ودفاع ـ بغداد ، ١٣٧٠هـ .

ثانياً ـ المخطوطة :

١ ـ نشوة اليراع .

٢ ـ تقاريض ونقدات لدواوين بعض الشعراء المعاصرين .

٣ ـ (تبصير الدكتور محمد مهدي البصير) في الدفاع عن أحمد شوقي امير الشعراء .

٤ ـ صندوق اليعقوبي (الشيخ محمدعلي) يتضمن مساجلات أدبية ظريفة .

٥ ـ مختصر (خلاصة الكلام في أحكام الالتزام) للخطابي في فقه الامام مالك .

٦ ـ رسالة في تنزيه القرآن عن الشعر .

٧ ـ رسالة في دفع شبهات الكتاب حول زندقة بعض امراء البيان وفرسان الشعر في العصر العباسي .

٨ ـ حق الثورة على الطغاة .

٩ ـ المراسلات الزيتونية ، وهو مجموعة الرسائل المتبادلة بينه وبين الأستاذ نظير زيتون .

هذا الى مجموعة كبيرة جداً من المباحث والمقالات تتجاوز الألف عداً ، موزعة في مجال وجرائد الوطن العربي ، منذ عام (١٩٢٠م ـ ١٩٦٩م) .

آثار الفكيكي في نظر الدارسين :

كتب الدكتور الاستاذ مصطفى جواد « المتوفى في ١٩٦٩/١٢/١٧م » مبحثاً جليلاً تناول فيه كتاب « الراعي والرعية » الطبعة الأولى بالنقد والتعريف ، نشره في مجلة المعلم الجديد : العدد ٦ السنة السادسة ، ص : ٥١٦ ـ ٥١٩ الصادر في نيسان ١٩٤١م . ونظراً لقيمة هذا المبحث العلمية ، رأينا ادراجه هنا ، نقلا عن المجلة المذكورة ـ بنصه ـ .

* * * *

كتاب الراعي والرعيّة

المثل الأعلى للحكم الديمقراطي في الاسلام

شـــرح عهد الامام علي لمالك الأشتر

* * *

وهو جزءان بقطع الربع الصغير ، قوام الأول ٢٠٠ صفحة من الورق الجيد ، وقوام الثاني ٢٣٢ صفحة من الورق المتوسط ، طبعا في مطبعة الغري بالنجف ، أولهما سنة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م ، والثاني سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م .

ان هذا الكتاب الجليل بجزئيه من تأليف الأستاذ الفقيه الحاكم السيد توفيق الفكيكي العالم الاديب المعروف ، وهو وان وسم بأنه شرح لعهد الامام علي ـ ك ـ لمالك الأشتر النخعي ـ رض ـ حين ولاه مصر ، فلقد أحواه مؤلفه الكريم فنوناً من المعارف الاسلامية وضروباً من الفقه والقانون وانواعاً من العلوم والمقالات والآداب والاخلاق ، واستعان على شرح العهد فيه بكتب كثيرة في القوانين والحقوق وعلم الحرب والاحكام اسلطانية والاخلاق وتاريخ الحضارة والسياسة والآداب وأصول الحكم والتفسير والاجتماع والمحاضرات والاخبار والفلسفة والخراج والتاريخ والاقتصاد والثقافة ، فصار « مظنة علوم وآداب وسياسة وفقه » و « ملتقى الثقافة العربية الاسلامية القديمة والثقافة الحديثة » . ولقد أعرب مؤلفه الفاضل عن تضلعه من الأدب والفلسفة القانونية ، واتقانه لأفانين من العلوم القديمة والحديثة ، وجعله من الكتب العظيمة النفع الغزيرة العلم المتنوعة الابواب والمواضيع ، فهو تحفة علم لمن قرأ وعقل ودرى ومستحق لقول المثل : « كل الصيد في جوف الفرا » . ودليل ناطق بتبحر مؤلفه الكريم

في ما عالج من المواضيع التي استحقها الشرح قصداً أو استطراداً ، فهو مشكور المساعي العلمية مأثور الفضل أبد الدهر .

ان هذه المجلة ليست مقصورة على « النقد العلمي والأدبي » حتى يمكننا الاتساع في الكلام فيها على كتب الأدب والتاريخ ودواوين الشعراء ، فلذلك نجتزىء في هذا الباب بذكر ما لابد لنا من ان نذكره من تعريف للكتاب واشارة الى أسماء الابواب وتنبيه على شيء من الصواب ، فأول ما نجادل المؤلف فيه هو قوله « شرح عهد الامام علي ـ ع ـ الموجه[1] الى مالك الاشتر حين ولاه مصر » . فانه لم يذكر في كتابه انه وجه بالكتاب الى مالك ؟ ولا من كان الرجل الموجه به اليه ؟ ، وليس في نهج البلاغة من كلام على الكتاب سوى قوله « ومن كتاب له ـ ع ـ كتبه للاشتر النخعي ـ رح ـ لما ولاه على مصر حين اضطراب امر أميرها محمد بن ابي بكر وهو اطول عهد كتبه واجمعه للمحاسن » . ولم يذكر هذا الكتاب ابراهيم ابن محمد بن سعيد الثقفي مؤلف كتاب « المعرفة » المتوفى في حدود سنة ٢٩٣هـ بأصفهان ، ـ كما ورد في كتب الرجال ـ مع انه ذكر في كتابه « الغارات » ما كتب الامام علي الى محمد بن ابي بكر واهل مصر ونقل ان محمداً المذكور كان ينظر فيه ويتأدب فيه فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله أخذ كتبه اجمع فبعث بها الى معاوية فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب منه فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتى ولى عمر بن عبدالعزيز فهو الذي اظهر انها من أحاديث علي بن أبي طالب وكلامه » . قال عزالدين عبدالحميد بن ابي الحديد المدائني ، قلت الأليق ان يكون الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه ويفتي به ويقضي

---

(١) الصواب « الموجه به » يقال « ارسل بالعهد وبعث به ووجه به » فهو موجه به . وكذلك القول في كل ما لا يستطيع الذهاب بنفسه مقتدراً مختاراً .

توفيق الفكيكي

١٩٠٠م - ١٩٦٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

لقد بات من نافلة الكلام القول : بظلامة أهل الفكر احياء وموتى ، في ديار العرب ، هؤلاء المشاعل التي تستنير بهديهم الاجيال ، وعلى نفحات أسلات أقلامهم تشاد أعمدة النهضة للأمة ، ومن هذا المنطلق يستوجب على الأمة انصاف مفكريها ، ولو بعد رحيلهم الى العالم الثاني الخالد .. وهذا أضعف الايمان ، عسى ان يكون في احياء ذكرهم حفزاً لهمم النابتة العربية ، وتذكيراً بمآثرهم السوائر ، و (توفيق الفكيكي) واحد من الذين جاهدوا باليد واللسان واليراعة في سبيل الأمة الصابرة المصابرة ، لم يلق القلم من يديه حتى بأخرة لحظات حياته ، ناضل من أجل الحرية ، أيام كان الجهر بها ضرباً من ضروب المروق والتمرد ، وطالب بنصفة ذوي الحقوق ، وسعى الى ارضاء ربه وضميره ـ حاكماً ومحامياً ـ وحارب الدخيل ، أديباً وصحفياً ـ .

كان جهاده صامتاً ، شأنه في هذا الأمر شأن ذوي العقيدة الأبطال ، دون جلبة أو ضوضاء ، بعيداً عن التبجح والدعوى ، عرفه أصحابه عن كثب ، كما عرفه الأباعد والمقربون ، أديباً مخلصاً لمعتقده ، صادقاً القول ، سليم الصدر ، وفياً كل الوفاء .

كان يتواجد لرنة الأسى ، ودمعة الهضيم ، وصرخة المضيم ، تواجد أهل الباطن في خلواتهم ، .

واليوم ، وقد مضى (توفيق) الى مستقر رحمة ربّ العزة والجلال ، بعد أنْ أدّى (دوره) كما ينبغي الأداء ، راضياً مستبشراً بلقاء وجه الله : « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية .. » .

فمن حقه ـ بعض حقه ـ على الفكر والأمة والبلد ، ان يقوم من له حَوْل أو طوْل من أبناء الأمة والمشتغلين بالفكر والأدب ، الى احيـاء ذكراه ، وذلك ببعث آثاره ، وتيسيرها للملأ ، وهذا سبيل قويم لمن يروم بعث الذكَر للنابهين من أبنـاء الأمة ، لذلك اعتزمتْ عصبة من معارف الأستاذ الفكيكي بمؤازرة أسرته المحترمة ، على نشر سلسلة تحمل اسم : « آثار الفكيكي » ..

وقرّ في النفوس جعل هـذا المطبوع « توفيق الفكيكي ، دراسـات ونصوص » .. الحلقـة الأولى من السلسلة المذكورة ، وتتبعـه حلقات أُخَر ، ان شاء الله ،

ويتضمن هذا الكتاب أربعة فصول هي :

١ ـ الفصل الأولَ ، حياته وآثاره .

٢ ـ الفصل الثاني ، ترجمته بقلمه ، أو مذكراته .

٣ ـ الفصل الثالث ، ما قيل في حفل تأبينه .

٤ ـ الفصل الرابع ، صدى الرحيل ، ويتضمن : قصائد ودراسات الأدباء الأفاضل عنه ، وبعض الرسائل التي ابتعثها رهط من معارفه الأدباء الى لجنة التأبين ..

هذا ما أردناه من تبيان الدافع لاخراج هذا الكتاب ،

وأخيراً نضرع اليه ان يتغمد الفقيـد الجليل بعظيم رعايته ، وان يفيض على روحه الطاهر شآبيب الرحمة والرضوان ؟ .

عبدالله الجبوري

الفصل الأول

حياته وآثاره

تمهيد

كان العلاّمة المحقق الشيخ محمد محسن ، المشتهر بـ (آغا بزرك الطهـراني) والمتوفى في ١٩٧٠/٢/٢٠م قـد استكتب الأسـتاذ توفيق الفكيكي ، ترجمته ليضمها الى كتابه : « طبقات أعلام الشيعة » .. فكتب له ترجمة نشرها في الجزء الأول من الطبقات ، وهو الموسوم بـ (نقباء البشر في القرن الرابع عشر) ، في الصفحة : ٢٧١ ـ ٢٧٣ ،

وقد ارتأينا نشر هذه الترجمة نقلا عن « طبقات أعلام الشيعة » ، ونعقّب عليها بما جدّ من تاريخ وفاة ، وتعريف شـامل بآثاره المطبوعة والمخطوطة .. !

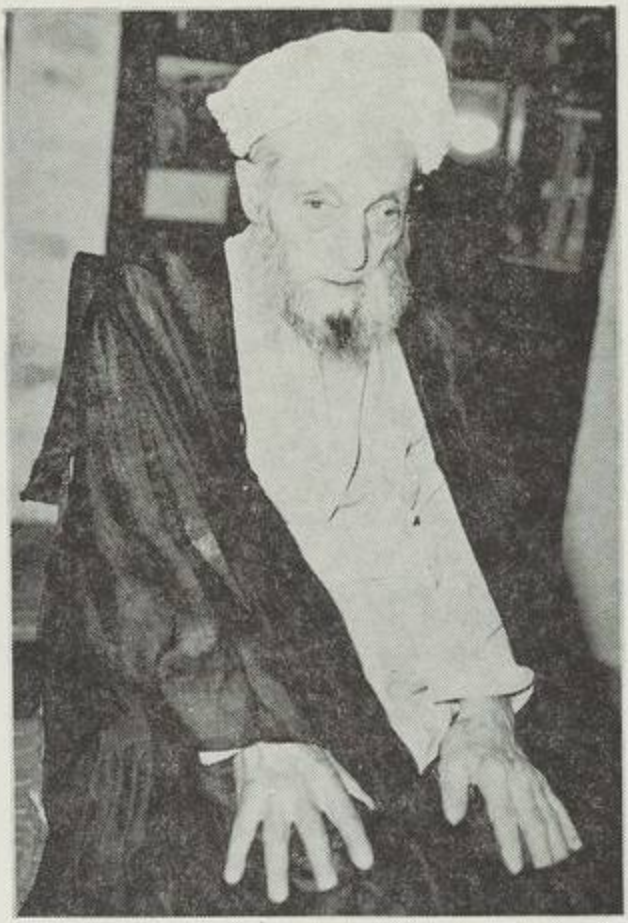

الشيخ العلامة المرحوم اغابزرك الطهراني

١٨٧٥م ـ ١٩٧٠م

توفيق الفكيكي

ولد في سنة ١٣٢١هـ :

هو : توفيق بن علي بن ناصر بن محمد سعيد بن عبدالحسين بن عباس بن كريط الفكيكي[١] ، ينتهي نسبه الى بني شيبان بن بكر بن وائل بن تغلب من ربيعة الفرس ، عالم باحث وكاتب ضليع ومصنف خبير .

نزح آباؤه من أطراف لواء الكوت فنزلوا في (الوردية) من لواء الحلة ثم نزح عبدالحسين الجد الثالث للمترجم فهبط في محلة (الفلاحات) من جانب كرخ بغداد وذلك منذ مائتين سنة ، واشتهرت هذه الأسرة بين اسر بغداد ببيت محمد سعيد الفكيكي الجد الثاني للمترجم ، وكان هذا البيت معروفاً بالثراء والغنى والسماحة والسخاء ، وكانت مهنتهم التجارة والزراعة ، ولم يمارس أحد منهم أعمال الحكومة الا المترجم ، ولا يزال اعمامه في الحلة بالوردية والجمجمية يمارسون الفلاحة ، وقد سكن بعضهم انسماوة وفي باديتها تل يعرف بـ (تل الفكيكي) أشير اليه في الخارطة الرسمية .

ولد المترجم في جانب الكرخ ببغداد سنة ١٣٢١هـ ، وأتم دروسه

---

(١) نسبة الى عشيرة (الفجيجات) التي تقطن في لواء العمارة وضواحي مدينة الحي ، قيل في وجه تسميتها بذلك ان جدها الأعلى كان يتوسط لفك رهائن الحرب والأسرى وقد عرفت بهذا الاسم قديماً ، فقد نبغ فيها في منتصف القرن الخامس الهجري ، الأديب المشهور الفكيك البغدادي، الذي رحل الى الاندلس ، وقد ترجمه ابن بسام في (الذخيرة) في القسم الرابع مع من طرأ على الاندلس ، ونبغ فيها ايضاً في القرن التاسع الشاعر ابن عبدالجبار الفجيجي ، ترجمه المؤرخ جرجي زيدان في (تاريخ آداب اللغة العربية) ج٣ ص٢٥٨ .

بقضاياه وأحكامه هو عهد الامام علي ـ ع ـ الى الاشتر فانه نسيج وحده ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والسياسة وهذا العهد صار الى معاوية لما سم الاشتر ومات قبل وصوله الى مصر فكان ينظر فيه ويعجب منه وحقيق مثله ان يقتنى في خزائن الملوك[٢] » فقول ابن ابي الحديد « الاليق » وارساله خبر صيرورة الكتاب الى من ذكره دليلان على ان التاريخ مستبهم في امر هذا الكتاب ، ولو صحت النسبة ما اغفل ذكره ابراهيم الثقفي فقد ذكر أبو سعد السمعاني في مادة « الثقفي » من الانساب انه كان من الغلاة فكان اذن من الحريصين على نقل مثل هذا الأثر العظيم الذي تتزين به الكتب وتستهوي به الأفئدة وتعلو به العقول ، فهو من الاثار العربية التي لا تسامى والعهود الاسلامية التي لا توازى ، والمنشآت العدنانية التي تستخذى لها أقلام سائر اللغات ، وكنا قد تكلمنا على فصل منه في جريدة « صدى العهد » سنة ١٩٣٢م .

وقد جاء في حاشية ص ١٨ من الجزء الأول قول المؤلف « شريعته السمحاء » . والصواب « السمحة » على وزن « فعلة » مثل ضخمة وفخمة ، قال مجدالدين ابن الاثير في باب « حنف » من النهاية ما نصه : « ومنه الحديث : بعثت بالحنيفية السهلة السمحة » . وأورد في ص ٢٤ منه ما نسب الى الامام الشافعي وهو « واختشى الله من قولي هو الله » والصواب « اختى » مضارع « اختأت » اي استحييت أو خفت حتى استترت ، ولكن الهمزة فيه مسهلة ملينة ، قال الجوهري في الصحاح : « اختأت من فلان أي اختبأت منه واستتر خوفاً أو حياءاً » وأنشد الأخفش :

ولا يرهب ابن العم مني صولتي ولا أختتي من صولة المتهدد

قال : انما ترك همزه ضرورة ، فالفعل « اختشى » ليس مما تكلم به العرب ويتصحف اليه « اختى » لتقارب صورتيهما ، ومن ذلك ما ورد في

---

(٢) شرح نهج البلاغة لعبدالحميد بن ابي الحديد ج٢ ص٢٦ الى ٢٨ .

« كشف الطرة عن الغره على الدره » ص ١٤٨ للسيد العلامة شهاب الدين محمود الالوسي الكبير ونصه : « ولا اخشي من صولة المتوعد » .

وجاء في ص ٢٧ منه : « وللمعري الحكيم ـ رح ـ يخاطب الحسين ـ ع ـ :ـ

يا ابن مستعرض الصفوف ببدر ومبيد الجموع من خطفان

والصحيح انه خاطب بذلك الشريف ابا ابراهيم موسى بن اسحاق مادحاً له ، ولعل الاصل « غطفان » لا خطفان ، قال شارح سقط الزند[٣] :

« وقال ... يجيب الشريف أبا ابراهيم موسى بن اسحاق عن قصيدة اولها : غير مستحسن وصال الغواني :

عللاني فان بيض الأماني فنيت والظلام ليس بفاني

وأورد المؤلف في ص : ٤٢ منه قول الامام علي : « واوصاني ... ببيعته غداة غد برحم » والصواب « غداة غدير خم » والأمر في ذلك مشهور ، وذكر في حاشية « ص ١٦٦ » من الجزء الثاني ان الشيخ المقداد ابن عبدالله بن محمد السيوري الحلي الاسدي الفقيه المشهور ، مدفون في ناحية شهرابان وانها سميت « المقدادية » احياءاً لاسمه ، وهذا القول لا التاريخ يؤيده ولا العقل يعضده ، لان المقدادي الفقيه المذكور عرف بالحلي ثم « الغروي » كما في كتاب الاجازات من بحار الانوار ، فكيف يصح كونه مقبوراً في شهرابان ولم نجد في التاريخ انه سكنها ولا حل فيها ولا مر بها ، وسبب خطأ المؤلف وغيره شبهة تاريخية باطلة ، ذكرها مؤلف كتاب روضات الجنات (ص ٦٦٨) قال فيه : « ومن جملة ما يحتمل عندي قوياً هو ان تكون البقعة الواقعة في برية شهراوان بغداد والمعروفة عند أهل تلك

---

(٣) شرح « التنوير لسقط الزند » طبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٨ هـ ، ص١٣٤ وص١٣٩ .

الناحية بمقبرة بغداد مدفن هذا الرجل الجليل الشأن بناءاً على وقوع وفاته ـ رح ـ في ذلك المكان وايصائه بأن يدفن هناك لكونه على طريق القافلة الراحلة الى العتبات العاليات ، والا فالمقداد بن الاسود الكندي الذي هو من كبار أصحاب النبي (ص وآله) مرقده المنيف في أرض بقيع الغرقد الشريف، ذكر المؤرخون المعتبرون من انه ـ رض ـ توفي في أرضه بالجوف وهو على ثلاثة اميال من المدينة فحمل على الرقاب حتى دفن في البقيع » وهذا الذي ذكر في قبر « المقداد » من الاوهام لان الذي اثبته التاريخ هو ان الرجل الصالح المدفون في شهرابان اسمه « مقدام » وكان من أصحاب السيد محمد ابي الوفاء العريضي المتوفى سنة ٥٠١هـ قال أحد مؤرخي القرن الثامن للهجرة : « قدم على السيد أبي الوفاء بزاويته بقلمينيا ثلاثا رجال اولاد رجل واحد يسمى احدهم مقداداً ويسمى الثاني مقداماً والثالث مقداراً فأكرمهم وقربهم .. » « روينا ان الشيخ أحمد بن الرفاعي ـ رض ـ كان يتكلم يوماً على الناس في المواعظ والنصائح فاستطرد الى مدح الزهد ، .. وذكر ما كان السلف عليه من ذلك : ومما ذكر ان الشيخ مقدام (كذا) اخبره ـ وهو المدفون بمدينة شهرابان ـ ان السيد تاج العارفين ـ رض ـ اهدى اليه احمال من العسل من اهل الجيل وقت المغرب فنال السيد قسموها على الفقراء ...[٤] » فالرجل المدفون في شهرابان هو « مقدام » ـ كما ذكرنا ـ لا « مقداد » وكان من أهل القرن السادس للهجرة ، ويا حبذا لو تسمى شهرابان « المرقالية » لان هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الملقب بالمرقال هو الذي فتحها بأمر عمه سعد بن ابي وقاص .

ومن الله التوفيق للخير .. » اهـ

الدكتور مصطفى جواد

---

(٤) ابو الهدى شهاب أحمد بن عبدالمنعم الشهير بالشبرسي الواسطي قاله سنة ٧٧٣هـ في كتابه « تذكرة المقتفين آثار اولى الصفا وتبصرة المقتدين بطريق السيد ابي الوفا » « الورقة ٢٥ ، و ٣٥ من نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ذات الرقم ٢٠٦٣ من العربيات » .

الفصل الثاني

ذكريات وتأملات

أدب الذكريات ، ادب صادق حبيب الى النفس ، فهو تاريخ حيّ ، ينبض بالحركة ويشيع فيه روح الحياة ، وليس أروع منه شيء في ترجمة الأفذاذ ، اذا توفر فيه عنصر الصدق .

وقد رأينا ان نعطي صورة حيّة للمرحوم الأستاذ توفيق الفكيكي ، سجّل حياته من الطفولة الى الكهولة ، فلم نجد أصدق تاريخ له من هذه (الذكريات) التي كتبها نزولا عند رغبة الاستاذ أحمد حامد الشربتي ، وقد تفضل الاستاذ الشربتي ـ مشكوراً ـ بتزويدنا بأصولها ، وهي بخط الأستاذ الفكيكي ، ونحن ننشرها هنا ـ افادة للمؤرخ المعاصر لتاريخ العراق الحديث ، لما احتجت من أخبار سياسية واجتماعية وأدبية ذات شأن خطر في تأريخ العراق المعاصر .

* * *

بقلم أبي أديب

توفيق الفكيكي

وقد حررت هذه الرسالة وهي تحتوى على ثلاث
دفاتر كما هي بلا تبييض وهي النسخة الوحيدة
التي قدمتها للاخ الفاضل الاستاذ احمد حامد
الشربتي ادام الله وجوده وعلاه آمين

محررها

١٩٦٤/٩/٣٠م

ذكريات وتأملات

الذكريات مفردها الذكرى والذكر بكسر الذال في لغة الضاد يفيد عدة معانٍ ، واخصها الحفظ للشيء كالتذكار ، واذا اطلق على القول يراد به المتين منه . يقال ـ استذكره أي تذكره بتشديد الكاف . قال تعالى ـ (وذكرى للمؤمنين) وهي هنا اسم للتذكير ، و (ذكرى لاولي الالباب) أي عبرة لهم . وقوله ـ (وانّى له الذكرى) اي من اين له التوبة . وقوله ـ (وادّكر بعد امّة) اي بعد مدة من الزمن الى غير ذلك من المعاني التي نصت عليها المعاجم .

لقد دأب اهل الافهام من اعلام المؤرخين ، وافذاذ العلماء والادباء الفقهاء ، والفلاسفة الحكماء واساطين السياسة وأرباب الدهاء ونوابغ القادة وحملة الاقلام من الكتاب والشعراء من أبناء المشرقين في القديم والحديث ، على تدوين خير ما أختزنته ذاكرتهم واحتقبته حقائبهم التي تهم حياتهم وحياة مجتمعهم من خير وشر وتثبيت محصول تجاربهم وخبراتهم وثمرات تمرسهم بالحوادث والوقائع باتراحها وافراحها ، وذلك لتبقى تلك المذكرات والتأملات دروسا عملية يهتدي بأضوائها الاحياء من بني جلدتهم وتذكرة غالية للعظة والاعتبار تنفع بها الاجيال الصاعدة والوارثة لهذا التراث الفكري العتيد .

ولما كان الغرض الاسمى من تدوين الذكريات وتسجيل التأملات هو الدرس المفيد من التاريخ والاجتماع ، وتجارب الحياة يجب ان يتحرى الكاتب في تحريرها الصدق والاخلاص ووجه الحق في أداء الامانة التاريخية ، وان يتطهر من درن الرياء والنفاق في تقرير الحقائق ، وان يتغلب بشجاعة على عواطفه وميوله النفسية ، ويتنزه قدر المستطاع من

هضم فضائل الغير بدافع البغض والحقد والحسد وهو اعظم آفة أخلاقية تصاب بها النفس البشرية • وان قيام الكاتب في تحبير ذكرياته وتدوين أفكاره وخواطره بهذه الطريقة السليمة من المداهنة والملق يزيدها قيمة وثقة ، وكلما ابتعد عن الكلام الزائف يكبر قدره ويصبح جديرا بتقدير المفكرين لفضله وصدقه •

* * * *

وبعد فأن أسلوب المذكرات او الذكريات والخواطر يجب ان يكون رشيقا سهلا واضحا لا تقعير ولا تشديق وتشقيق في كلامه وعبائره مع رعاية الاصالة والرصانة والدقة في تصوير الاشياء الواقعية ، وتجسيد المعاني الذهنية • وقد أصبح هذا اللون من الادب عند المحدثين من أشهر الالوان المغرية للقراءة والافادة والتثقيف لما يمتاز به من عنصر الحياة وتلوين المشاهد العجيبة وجمال الكلمة البريعة •

هذا مجمل فكرتي عن ضرورة تسطير الذكريات وسوانح الفكر وخطرات النفس ليرجع اليها الخلف بعد السلف وهي أنفس الذخائر ، واغلى تركة يتركها الراحلون للاعقاب •

لقد شعرت بألم عميق بهذه الضرورة بعد زوال ربيع العمر الزاهي النضير ، وذبول أزاهيره الندية المبهجة بذهاب صيفه المتدفق بالفتاء ومرح الفتوة ، وبعد ان طفلت شمس خريف حياتي وتكاد ترتدي رداء الظلام المفضض المنذر بالخاتمة الرهيبة ، وكلي رجاء بربي الرحيم ان تكون أحسن خاتمة ، وأطيب عاقبة ، برحمته ومغفرته ••

ومما أذكره بحسرة واسف هو تشتت وتبدد اكثر ما خزنته خلايا الذاكرة ، وقد فاتني ان اقيد وأدون يومياتي وان كانت تافهة ضئيلة القدر لا تستحق الذكر وغير جديرة بالترقيم ، ومع هذا فقد قيل « يوجد في

الاسقاط ما لا يوجد في الاسفاط » ومن الحق ان اقول ان سر عدم قيامي بذلك واستهانتي بتلك اليوميات والتأملات وتركي لها في مطاوي الزمن وطواياه يكمن في سفر اسفاري في ممارسة الوظيفة التعليمية ، والقضائية ، ومن ثم ما كانت تفرضه عليّ مهنة المحاماة الشريفة من الواجبات الثقيلة والقلق الفكري من جراء ما كان يغرر بنا الزعماء المبرقعون في الحركات السياسية والازمات الوطنية في عهدي الانتداب والوطني ، وأخيرا انشغال النفس في خضم الحياة المتلاطم في سبيل العيش الكريم وعدم تقطير ماء الوجه عند الجبس اللئيم ، وقد قضيت عنفوان شبابي وزهرة عمري بالجهاد وراء جلب الرزق لاهلي حيث لم يترك لي المرحوم والدي شيئا من حطام الدنيا سوى الذكر الجميل والامثولة الحميدة والحمد لله تعالى .

* * *

وأخيرا فقد ود وليّ حميم هو الاستاذ احمد حامد الشربتي والح علي الحاحا لا يقبل معه العذر ان اقيد له ما يخطر في خاطري من الخطرات وما يسمح به الذهن من صور الاشياء ، قد تكون في نظرة المتواضع ممتعة ، الى غير ذلك من السوانح والاحاسيس والمشاعر التي تحسست بها في دروب الحياة التي قطعتها في ربيع العمر الضاحك وصيفه الباسم الوهاج وخريفه المتجهم المكفهرّ . وقد رأيت الامتثال خير من الادب فلبيت الطلب برغم وطأة الذبحة الصدرية واضطراب القلب وقلق النفس وبلبال البال ، فمعذرة للاطباء النصحاء عن هذه المعصية البريئة من شوائب الغرور والادعاء والتبجح ومن الزور والاختلاق والتمخرق ـ التمويه ـ والعياذ بالله .

* * * *

عهد الصبا :

كانت صبوتي الوحيدة في زمن الصبا هي حب القراءة ، وتشتد منازعي صباح مساء الى التعلم ، وكنت اشعر بنشوة الفرح كلما حفظت شيئا من

أفواه الكتاب أو القراء لم يعرفه أقراني ، صبيان الجيران أو المحلة • وقبل ان اعلم ما هي القراءة واسماء الحروف كنت امسك بيدي مجموعة اوراق وألغط في ساحة الدار باشتات الكلمات لا تربطها رابطة ومختلف الادعية والصلواة التي تمر بسمعي من أبويّ ، وكان من في الدار يضحكون على ثرثرتي ولغطي ، ولم اترك جدارا من جدران الدار الا وسودته بالفحم وكل اعتقادي ان الكتابة ما هي الا تخطيط الخطوط وبتصوير الحيوانات والاثمار على القرطاس ، ولما آنس المرحوم والدي مني هذه النزعة الجامحة والرغبة الملحة في حب التعلم ذهب بي الى الملا المرحوم (عبدالباقي) ومكتبه في محلة الشيخ بشار في الكرخ • وبعد ايام معدودات هربت منه لتعذيبي بالفلقة من اجل الضريبة الاسبوعية وتسمى (الخميسية) لتقديمها للملا كل خميس لسد نفقات المكتب من حصران وماء واشباه ذلك عدا الراتب الشهري الذي جرى به العرف •

اما المرحومة والدتي فكان من رأيها ان اتعلم مهنة من المهن ، لأن المهنة في نظرها (كالخاتم) في اصبع الانسان ، كلما اصابته بطالة يحركه فيجلب له الرزق وكانت هذه الفكرة هي العقيدة السائدة بين طبقات المجتمع ولا يزال أثرها باقيا في العراق وقد تجلّت هذه الحقيقة في عهدنا الحاضر، عهد الصناعات واشتداد الحاجة الى الايدي العاملة الفنية ، وبرغم الحاح والدتي بذلك فقد عصيت أمرها وتمردت الى ارادتها •• وفي الاخير عجزت عن مقاومتها لان والدي وقف الى جانبها وصوب رأيها • وأخذتني الى المرحوم خليل الحداد ، وهو جارنا ، فبقيت ازاول بعض اعمال الحدادة الاولية الطفيفة • وبعد شهر قد تمردت واعلنت العصيان المدني على ابوي • وقد ذهبت محاولاتهما ادراج الرياح ، لان هذا العمل وغيره من الحرف لم يشبع رغبتي النفسية وتستهويني متعته ولم أجد فيه المتاع الفكري واللذة الروحية كما ارجوها في تحصيل العلم والادب تلك الرغبة

التي كانت تراود ذهني صباح مساء وتدغدغ قلبي في الغدايا والعشايا • ولهذا اوصى فلاسفة التربية وعلماء الاخلاق والاجتماع وكبار المربين من قدامى ومحدثين بضرورة تلبية رغائب التلميذ بما يميل اليه طبعه من أنواع العلم او الفنون والمهن وصنوف المعرفة على اختلافها ، وهذا هو الصحيح والصواب • فقد شاهدنا بعض اترابنا قد فشل في ميدان التحصيل وبرع ونبغ في المعمل ودور الصناعة •

ولما استيأس المرحوم والدي من اقبالي على تعلم المهنة اخذني الى المغفور له الملا (حميد) وقبل ان أصل الى سورة (الانفال) تركت مكتبه وختمت القرآن على نفسي ، ثم دخلت المدرسة الابتدائية وواصلت التحصيل حتى عهد الاحتلال • وبعد الاحتلال بأشهر فُتحت أبواب دار المعلمين فدخلت دارها وتخرجت معلما ومارست التعليم الى سنة ١٩٢٣ ثم دخلت كلية الحقوق فنلت شهادتها وامتهنت المحاماة عام ١٩٢٧ • ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة انه في جميع أدوار تحصيلي حتى وفاة والدي سنة ١٩٤١ لم اذكر انه سألني رحمه الله تعالى عن سيري في التحصيل او انه حثني على المطالعة وتحضير واجباتي المدرسية ، وانما كان يكتفي بتذكيري (انك اذا تعلمت تفيد نفسك والعلم يرفع من شأنك) ، وبرغم هذه الكلمة الغالية ، ليتني كنت ادرك نصيحة والدتي لي كما نصح العلامة اللغوي احمد بن فارس التي قدمها لطالب العلم والادب في هذين البيتين :ـ

وصاحب قد أتاني يستشير وقد ... اراد في جنبات الارض مضطربا
قلت اطلب اي شيء شئت واسع ورد ... منه الموارد الا العلم والادبا

اجل ! لو كنت ادرك عهدئذ هذه النصيحة الثمينة الغالية لما عصيت لامي امرا ، فبما أرادت لي من امتهان احدى المهن غير حرفة القرطاس والقلم (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) •

* * *

اول من رفع العلم العربي في كرخ بغداد :

في عام ١٩١٨ صدر امر وزاري بنقلي من مدرسة الكرخ الى مدرسة الكاظمين بسبب قيامي بالاشتراك مع المرحوم مدير المدرسة ابراهيم عثمان برفع (العلم العربي) علم الثورة العربية الكبرى التي أطلق العرب أول رصاصة في سبيل حريتهم واستقلالهم • وكان قيامي بذلك لاول مرة في ربوع الرافدين وفي اثناء تمرين الطلاب على الاعمال الكشافية في ضواحي الكرخ وكان البوليس الانكليزي ينظر الى العلم باستغراب ودهشة مقرونة بالحنق • وعند الاستعراض العام في الرصافة استنكر الانكليز في وزارة المعارف رفع العلم العربي فصدر في اليوم الثاني أمر تغريم مدير المدرسة المرحوم ابراهيم عثمان د (٧٠) روبية والاكتفاء بنقلي الى الكاظمية[١] •

اتصالي بزعيم الثورة العراقية (السيد الصدر) :

وفي آخر سنة ١٩١٨ اتصلت مع اخوان لي من الشباب الوطني بسماحة السيد محمد الصدر كبير زعماء الثورة العراقية ، وكنا نختلف الى داره في الكاظمين ، مرة في الاسبوع أو اكثر عند اللزوم لتلقي التوجيهات في بث الدعوة الاستقلالية ومقاومة سلطة الاحتلال • وكان المفوض فارس الكربلائي وهو احد افراد التحقيقات الجنائية لا يفارق ظلي في اكثر الاوقات يغدو ويروح معي الى الكاظمية احيانا وقد اتخذنا دارا بجنب جامع الجعيفر نجتمع به سرا وكاد فارس المفوض المذكور يكشف أمرنا لولا اتخاذنا التمويه والتضليل • وفي ذلك الظرف كلفنا الزعيم الصدر بحمل رسائل الى كل من المرحومين الشيخ ضاري رئيس

(١) نشر قبل ايام صديقي الاستاذ عبدالحميد الدبوني كلمة حول هذه القضية واكتفى بذكر المرحوم ابراهيم عثمان ويظهر انه لم يقف على جلية الامر •

عشائر زوبع والى الشيخ حردان والد الشيخ مشحن الحردان والى رئيس عشيرة أخرى معروف بفروسيته ووطنيته وعدائه للانكليز لا أتذكر اسمه وربما كان شيخ (المجمّع) وقد قمنا بتدبير مهمة ارسال الرسائل مع قين ـ مبيض الاواني ـ من سكان الجعيفر المؤمنين واخفيناها بين طيات حذائه ، رحمه الله واجزل ثوابه ، وكنا نصرف على مثل هذه الامور من دخلنا الخاص بفخر واعتزاز • وبعد وصول الرسائل لاصحابها وقعت حادثة قتل (لجمن) السياسي الانكليزي المعروف وقائد البادية الشهير بالجرأة والفروسية • وعلى اثر ذلك تلاحقت الحركات الوطنية حتى اشتعلت نيران الثورة العراقية على جنبات الرافدين بكل ضرواتها •

تفيات ظلال المشنقة الانكليزية ونجوت من حبالها :

في عام ١٩١٩ نقلت من الكاظمية الى الحلة وعند الموسم الدراسي ١٩٢٠ كانت الثورة العراقية الكبرى قد شب اوارها وحمى وطيسها في بوادي الفرات ودساكره وعلى ضفافه ، وقد امتنع رفقائي المدرسين من السفر وممارسة اعمالهم وفي طليعتهم احمد مختار آخر رئيس وزراء لآخر وزارة عراقية قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، اما انا فذهبت مستبشرا غير مبال بالخطر المتوقع على حياتي في كل لحظة وفي كل خطوة فوصلت الى الحلة بين دوي المدافع وانقضاض الطائرات الانكليزية ، ولعلعة رصاص الثوار الاحرار ، وقد اغتنمت الفرصة لتزويد قيادة الثورة بالمعلومات التي ربما تستنير بها في خططها ومن سوء المصادفة ان عثر على احدى رسائلي المرسلة الى السيد الصدر وفي الحال أمر الحاكم السياسي (طومسن الأفطس) بتوقيفي وسحبت من قاعة الدرس واستمرت التحقيقات بحقي •

في مصنع الاحرار وبوتقة البطولة :

السجن في سبل الشرف والغايات النبيلة ، والمطامح العالية اكبر

مصنع لصنع الاحرار وبناء الشخصية . والسجن اعظم مدرسة عملية في تنشئة التفوس على محاسن الصبر ، والفضائل النفسية ، ولولا الألم لما عرفت لذة الحياة ومباهجها ، ولا أنشئت حضارة من الحضارات الانسانية ، ولا نعمت البشرية بتغاريد والحان الشعراء الملهمين الخالدين الذين غذى الالم نفوسهم وهـذّب عواطفهم ، وسما بأرواحهم الى مدارات الافـلاك والشموس ، هذا وان صداقات السجن هي من اقوى واصدق الصداقات التي لا ينتكث حبلها على مر الجديدين عند أغلب الناس .

دخلت السجن ولم يشغل خاطري سوى والدي لأني تركته مريضا وقد اخبره احد رواة السوء بنفيي الى (هنجام) في الهند ، فأشتدت علته وساءت حاله ، ومن افزع الذكريات التي كلما اذكرها يهتز لها كياني ، وتضطرب أوتار قلبي هي موقف مدير السجن الانكليزي المدعو (هنري) او (هري) عند اخذه العلامات الفارقة في وجودي وهي طريقة انكليزية في تحقيق شخصية الموقوف ، فكان هذا الانكليزي الفظ ، بعد ان اتعرى من ثيابي كلها وهو يعاقر العقار مع بعض جواسيسه من أوباش الحلة . امر بأخراجي بهذه الحالة المؤلمة ، وقد غض المنتظرون من الرؤساء الثوار خارج غرفة المستعمر البغيض أبصارهم ونكسوا رؤسهم الى الاذقان وهم (يحوقلون ويرجعّون) وقد اختبأت في زاوية الى ان أمر طاغية السجن بترقيم العلامات الفارقة ثم خاطبني بلغـة الجبارين : (أنتم المتعلمون في بغداد أصحاب الصدر والسويدي تأخذون رواتبكم من الحكومة البريطانية وتثورون عليها ، سأقطع رقبتك أو أسوقك الى هنجام معلوم ؟) فقلت له أنا خاضع لحكم القانون ولا اخشى غيره ، ولما سمع جوابي اخذته العزة بالاثم فصاح بوجهي وركلني برجله .

رفقـاء السجن :

رحم الله تعالى الشيخ (هزاع المحيميد) شيخ شيوخ عشيرة المعامرة

وهو أحد المجاهدين ورفقاء السجن ، فكان يهون علي الامر ويحبب لي الصبر ، ويكرر علي كلمته المؤمنة الحلوة « تهون يا ولدي تهون » وكان اجزل الله ثوابه شجيعا صريحا والصراحة شعار الشجاعة والكرم ، وكان الانكليز برغم كرههم له يحترمونه لصراحته وقد رخصوا له كل شيء في السجن حتى أدوات القهوة فجعل من ايوانه مضيفا للسجناء. ومن الرفقاء الاجواد الشيخ موجد الشعلان وكان يومذاك مراهقا ومعه عمه الشيخ جبل آل عطية آل دخيل وهم من شيوخ عشيرة (الأقرع ـ الاكرع) في الديوانية وكان المغفور له الشيخ شعلان العطية رئيس الاكرع وهو في مقدمة ابطال الثورة فقد سلم أخاه (جبل) وولده (موجد) رهينة للانكليز حسب طلبهم لئلا يثور عليهم ولكنه كان في طليعة الثائرين الشوس فضحى بأعز ما عليه في سبيل عقيدته وعزة وطنه ، وهكذا تفعل العقيدة الخالصة في تعمير النفوس وتربية الوجدان .

ومن هؤلاء الرفاق الاماجد الشيخ مراد الخليل رئيس عشائر الجبور ، والشيخ شافي رئيس عشيرة اليسار ، والشيخ عبد علي السمرمد من رؤساء زبيد رحمهم الله تعالى وانزلهم منازل الابرار في جنات النعيم .

كان السجناء يقومون بانفسهم في تدبير غذائهم فمنهم من يطحن ، ومنهم من يخبز ، ومنهم الخباز ، والطباخ والى غير ذلك من الاعمال المرهقة المذلة ، باستثناء الشيخ هزاع وجبل وموجد فكان يجهزون من خارج السجن ، وكانوا يحتفون بي ويأبون الا ان أتناول الطعام معهم في الاوقات الثلاثة وان اشاركهم في كل شيء . وبهذه المناسبة اذكر مشاركتي مع المرحوم توفيق رئيس بلدية الهندية في طحن الحنطة في رحى واحدة وكانت كبيرة ثقيلة وقد بريت كفي فتمردت على الطحن ، فما كان من شريكي في المصيبة الا التماس سكوتي لئلا يسمع السجان لاني صرخت قائلا (هذه المشنقة أهون عندي من هذه المهانة) ثم وجهت كرقيب على

الخباز ومكسري الاحجار بجوار المشنقة التي كنت والحاج رشيد من تجار الهندية نأكل ما يهرب الينا ليلا من الكباب والفواكه في ظلها المشئوم •• وذلك لئلا ترانا عين الحرس ورقباء (هري) الانكليزي الذى أمعن باذلال أبطال الثورة الصناديد بمختلف الاساليب المنكرة وايسرها خطبا تنظيف المراحيض وحمل القاذورات ورميها بالنهر الى غير ذلك من فنون التعذيب والاهانة •

الشيخ محسن الحسناوي :

هذا الشيخ أو قل هذا السميدع المغوار والبطل المسعار هو ابن اخ عدوان الحاج سعد رئيس عشائر بني حسن فكان قد اقض مضاجع الانكليز وعساكرهم في الهندية وما حولها وقد شاء القدر ان يقع أسيرا في يد الحملة البريطانية بعد هروب الثوار من منطقة الهندية ، ثم جيء به الى السجن مثخنا بالجروح من عمل الشرطة الانكليز في لواء الحلة وفي تلك الليلة شدوه على خشبة وانهالت عليه السياط الحديدية على قفاه وسائر جسده وكل ضربة ينفجر معها الدم حتى انقطعت انفاسه وكان عدد السياط لا يقل عن الخمسين ، واني لأقسم بجلال الله العظيم لم تسمع له أنة ولا رنة ولا استغاثة وكأن السياط كانت تقع على حديد بارد ، وقد ضرب لنا أروع الامثلة على البطولة العربية ، والرجولة التي تسخر بالموت ، وذلك المشهد دلني على ان عزائم الرجال الصابرين اقوى من صخور الجبال • وبعد الفراغ من صب العذاب الاليم عليه حمل سابحا بدمائه الى غرفته المظلمة ولم يطلب من آسره وسجانه سوى سيجارة وقدح ماء • فقام الشيخ موجد الشعلان بأرشاء الحارس ليرة ذهبية وكانت تعادل (١٨) روبية فاوصل له قليلا من السيكاير وشربة من ماء •

* * * *

ليلة الوداع لأعتلاء ارجوحة الابطال :

يا لها من ليلة موحشة ، مخوفة ، رهيبة ، مرعبة ، قد نصبت المشنقة وحفت الزبانية ، وبات الحرس مدججين بالسلاح على سطح السجن حيث جرت عادتهم المنكرة ان يقودوا مساعير الثورة المشروعة الى ارجوحة الابطال في غطاط الليل ـ الغلس ـ وقبل انصداع عمود الصبح واندلاع نوره ، وفي تلك الليلة تركنا الطعام عدا الماء وقمنا بالصلاة والاستغفار وقبيل النوم تعانق الجميع وطلبوا الرحمة والمغفرة من الرحمن الرحيم جبار السموات والارض .

اما أنا فكنت مع الشيخ مراد الخليل والشيخ شافي في غرفة واحدة ، وقبل ان يغمر أجفاني الكرى وعيني بين يقظى ووسنى ، سمعت المرحوم الشيخ مراد الخليل يهمس في اذن الشيخ شافي رحمه الله قائلا « نحن بلغنا الشيخوخة وقد ذقنا حلو الحياة ومرها ولكن الاسف على هذا الشاب وهو لا يزال في عنفوان شبابه » وعندما سمعت همس الشيخ دمعت عيني وسالت الدموع على خدي لاني ذكرت والدي المريض ووالدتي الحنون ثم توكلت على الله وانقطعت اليه وتوجهت الى الامام موسى بن جعفر عليه السلام فقرأت الفاتحة ونمت مودعا كل ما في الحياة من مباهج وآمال . وقبيل الفجر الصادق بشرني الامام الطاهر ابن الامام الصادق (ع) باطلاق سراحي في الصباح وأخذت ابكي بين يديه وتقدمت لتقبيل قدميه المباركتين . وفي هذه الحالة أجلسني الشيخ شافي رحمه الله فقال لي ما هذا البكاء في منامك ؟ فقصصت عليه الرؤيا فاهتز بهزة شديدة واجلس الشيخ مراد وقال له بشرى الامام بنجاتنا واكثرا من التهنئات وفي الصباح وبعد تناول الفطور دعاني الحاكم السياسي (طومسن) الافطس وكلفني بتقديم كفالة وبلغني بتقديم قضيتي الى بغداد ، فكفلني المرحوم الحاج محمد المعروف رئيس البلدية ، وكان الساعي في سبيلي لدى الحاكم السياسي المغفور له

السيد الاجل أبي جعفر محمد علي القزويني فكانت رؤيتي رؤيا صادقة وبشارة من العترة الطاهرة المطهرة وبعد خروجي وخروج رفاقي من السجن دخله أحرار كربلاء بعد انسحاب الثوار عنها وكان يتقدم زمرة الاحرار العلامة السيد محمد علي هبةالدين الشهرستاني ، اما الذين شنقوا من الرفاق الابرار كانوا من الشرطة الذين التحقوا بالثوار بأسلحتهم وعددهم (١٢) رضوان الله تعالى عليهم وأثابهم ثواب الشهداء وأحلهم دار الكرامة .

ومما يفتت الاكباد ويمزق نياط القلوب ويذهب النفس حسرات هو ادعاء من أبناء وأحفاد جواسيس الميجر (بري) وعملاء المستعمرين المستبدين في كل عهد وزمان ، ابناء هؤلاء التعساء وقد اصبحوا اليوم من دعاة الوطنية والقومية المزيفة يسلقون بألسنة حداد هؤلاء المناجيد الشهداء ، ويطلقون على بقية السيوف من ذراريهم الاعاريب الاقحاح ما يشتهون من ألقاب القدح والثلب كالشعوبية واللاقومية والبهائية ، الى غير ذلك من نعوت الذم والهجاء التي هم وأسلافهم الجواسيس أحق بها واولى .

هكذا كان جزاء رجال الثورة العراقية الكبرى الذين قدموا أغلى المهور في سبيل حرية البلاد واستقلالها وتوطيد عرش عزتها وكرامتها .

* * *

وزارة المعارف تغضب :

وفي سنة ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ الدراسية أسست المعارف مدرسة العوينة النموذجية واختارت لها صفوة من المعلمين واستغربت ان أكون من جملة المختارين وقبيل الامتحانات النهائية قد نشرت مقالا في جريدة (الرافدين) لصاحبها السيد سامي خونده انتقدت فيه مناهج التعليم الاستعمارية وضررها البليغ على تربية الناشئة وبعدها عن التربية الاستقلالية وما تحدثه في افكارهم

من الشلل والعطل ، ولانها لم تستهدف تقويم الطلاب وتعويدهم على الاعتماد على النفس ، وطلبت ان يكون في بعض المدارس الابتدائية والمتوسطة بعض الصناعات أي الاخذ بالتعليم المهني ، الذي ارتأت ضرورته وزارة المعارف قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وذلك بناء على تقرير الخبير الاجنبي بعد ان قضى اجرا دسما اما اقتراحي في سنة ١٩٢٢ بهذا الشأن فكان كغناء (مغنية الحي) وأجري من ورائه غضب الوزارة ونقلي في ثاني يوم نشر الاقتراح الى سامراء حتى آمنت بعد ذلك الحادث وغيره من مطالب الاصلاح ان الجدية في هذا البلد تكاد تكون جريمة عقوبتها الحرمان ان لم تكن السجن والاعدام . وكان نقلي الى سامراء بأمر معاون المستشار المستر (سمر فيل) المستعمر الخبيث ووزير المعارف عهدئذ ، السيد الشهرستاني فأخذ يخفف عني مرارة العقاب بسجعات بيانية ما زلت احفظ بعض فقراتها « سامراء مدينة زهراء ، دار الخلفاء ، عذبة الماء ، طيبة الهواء ، صافية الاجواء ، قليلة الداء ، مهوى الادباء ، ومغنى الشعراء ومقر مراقد أئمة البيت العظماء ... الخ » فأمتثلت وسافرت لأني اعتزمت الاستقالة بعد العطلة .

ندوة سياسية في مدرسة سامراء :

ومن الذكريات الحلوة التي تداعب خاطري هي :

قبيل ان ينتهي موسم الدراسة من سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ قد اعلن صك الوصاية والانتداب الانكليزي على العراق فجاشت نفسي بالثورة وعلى الاثر دعوت شيوخ ووجهاء سامراء الى الاجتماع يوم الجمعة التي تلي اعلان الوصاية بحجة التداول معهم في أمور تهم أولادهم ، وكانت الدعوة سرية ودون علم مدير المدرسة ابراهيم الاعظمي والمدرسين عدا الاستاذ السيد جمال الآلوسي ، وقد حضر أكثر الرؤساء بأستثناء اجراء الميجر (بري) مدير الاستخبارات العسكرية وبعد المذاكرة حول قرار الانتداب الغاشم

سكنت من حملهم على ابراق برقية للمراجع المختصة يستنكرون فيها القرار وطالبوا بالاستقلال التام ، وبعد يومين استدعاني القائم مقام وهو السيد جمال بابان وكان معروفاً بشعار الوطنية ففاتحني بموضوع دعوة الوجهاء وبرقية الاحتجاج فأعترفت له بواقع الحال ولم يسمح له أدبه النفسي وروحه الوطنية الا ان يكتفي بلومي على عدم اعلامه بالاجتماع بصفته مسؤولا اداريا وكون الاجتماع وقع في مؤسسة رسمية وهي المدرسة ، فأعتذرت له بان الموضوع كان يستدعي الاستعجال وخشيت ان تحول الموانع القانونية والادارية وغيرها دون تحقيق هذا المطلب الوطني وقد طمعت بوطنيتكم فعملت ما عملت فتقبل العذر قبولا حسنا ولكن بمضض ، وقد دافع والحق يقال عن موقفي هذا أمام المراجع الرسمية ، وعند انتهاء مرسم عطلة المدارس قدمت استقالتي ودخلت مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٣ .

أسباب كره فيصل الاول لكلية الحقوق :

كان طلاب الحقوق بين عام ١٩٢٤ و ١٩٢٧ في رأس كل حركة وطنية ضد سلطة الانتداب وفي مقاومة عقد المعاهدات الاستعمارية غير المتكافئة ، وكنا نشكل مجموعات من الطلاب للاتصال بالشخصيات البارزة من أعضاء المجلس التشريعي وحملهم على رفض المعاهدة لسنة ١٩٢٤ و ١٩٢٦ وقد خاضوا المعركة مع السلطة عند انعقاد المجلس التأسيسي ، وكنت مع رفقائي قد زرنا من توسمنا فيهم الاريحية العربية ومنهم السيد محمد زكي البصري ، والشيخ سالم الخيوّن رئيس بني أسد ، والشيخ زامل المنّاع ، والشيخ سلمان الظاهر رئيس قبيلة الخزاعل ـ خزاعة ـ وقد أحْتلت بأخذ العهد والميثاق من سالم الخيون وزامل المناع بعقد (كفيتهما) حسب القواعد العشائرية البدوية وامتنعنا من تناول القهوة عند الشيخ سلمان الظاهر وسالم الخيون وزامل المناع حتى أكدوا لنا عهدهم برفض المعاهدة ، اما محمد زكي فقطع لنا عهدا بتلبية طلبنا وقد بروا ومعهم

آخرون بعهدهم الا ضعفاء الايمان .

وكانت من نتيجة رفض هؤلاء الاكارم للمعاهدة نفي الشيخ سالم الخيون الى لواء ديالى والاقامة الجبرية في بغداد وديالى وقد حرم من دياره وأهله الى ان أدركه الاجل المحتوم غفر الله له ولاخوانه المجاهدين ، ومن هذه المواقف المشرفة التي كان يقوم بها طلاب كلية الحقوق بالاشتراك مع نخبة من كبار المحامين المناضلين أصبح فيصل الاول يكره الكلية اشد الكراهية . وقد ذكر لي المرحوم الشيخ سالم الخيون ان فيصل الاول سأله ما الذي حملك على رفض المعاهدة بعد ان آنست منك الموافقة عليها ؟ قال فأجبته :ـ (سيدي أحرجني طالب قصير من طلاب الحقوق يدعى توفيق الفكيكي ، حيث امتنع هو ورفقاؤه من شرب قهوتي ولم يكتف فقد عقد كفيتي على الطريقة العشائرية فاضطررت ان اتعهد لهم برفض المعاهدة . ويظهر ان هذا الطالب عليم بتقاليد العرب) . ولكن مما يحز النفس ان بعض الشباب البغدادي من حملة الدكترة قد تنكر مع الاسف لأبناء هؤلاء الابرار الذين شيدوا الكيان الوطني ، ورفعوا دعائم الحرية والاستقلال وجددوا شوامخ العروبة ومعالم القومية . وقد اخذ أذناب المبشرين المستشرقين يلصقون ببقية السيوف من أبناء عدنان وقحطان كل شنيعة ويصمون عروبتهم واسلامهم بشتى الوصوم والمعائب ، وقديما قيل : (رمتني بدائها وانسلّت) ..

ومن الذكريات الحبيبة لنفسي هي توقيفي مع الرعيل الاول الوطني من محامين وطلاب حقوق بتهمة محاولة قتل المرحومين الشيخ عداي وسلمان البراك . وكنت يومذاك في الصف الثالث من الحقوق ، وكان توقيفي أيام الامتحان النهائي ، حتى درست المجلة وحقوق الاراضي في مركز شرطة الكرخ ، ثم اطلق سراحنا بكفالة الكفيل المرحوم أحمد نيازي بمبلغ خمسة آلاف روبية .

همز (بيل) يغضبها مقالي فتعطل (المفيد) :

كانت مسز (بيـل) تقـوم بمهمة السكرتير الشرقي في السـفارة البريطانية ـ دار المندوب السامي ـ بوقته وكنت في سنة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ احرر في جريدة (المفيد) لصاحبها المرحوم السيد ابراهيم حلمي العمر ومن قبلها في جريدته (لسان العرب) • واسم (المفيد) اقترحه العلامة المجتهد المجاهد الشيخ مهدي الخالصي والد محمد الخالصي رحمه الله بسبب ان لسان العرب عطلت وقاطعها القراء للفتوى التي أصدرها المغفور له الخالصي بتحريم شرائهـا وقرائتهـا لان صاحبها كان قـد نشر مدحـاً لطاغوت البهائية عباس أفندي لقاء مبلغ مغري كما قيل في وقته • وكانت المحاكم تنظر في دعوى بملكية دار في الكرخ كان يسكنها طاغوت البهائية مستأجرا فاتخذها اتباعه من بعده معبدا فثارت شيعة الكرخ وتكونت دعوى انتهت برد ادعاء البهائية • وقد أسست حسينية الشيخ بشار في الكرخ في تلك الدار وفي ذلك الجو المتكهرب أقدم ابراهيم حلمي العمر بنشر المديح لشيخ البهائية الضال المضلل • وهذا هو السبب لتحريم جريدة (لسان العرب) واصدار (المفيد) بتوسط واقتراح خليفة الزعيم الديني للثورة العراقية الكبرى آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي وانما سميت المفيد تيمنا باسم الشيخ (المفيد) علم الاعلام الشهير بأبن المعلك العكبري المتوفي ٤١٣هـ وقبره في رواق الامام موسى بن جعفر (ع) اما سبب غضب المسز (بيل) على المفيد فكان من اجل مقالي وعنوانه (لماذا لا نعلّمهم) والضمير لابناء العشائر وتوطين الرحالة منهم • ومما قلت فيه ان هؤلاء لا يشعرون ولا يقدرون قيمـة الاستقلال والحرية اذ لم يتعلموا ويتحضروا حسب متقضيات العصر الحديث وقد استشهدت على قلة ادراكهم بجواب أحـد الثائرين في الديوانية الذي اجاب به (فيصل الاول) عنـدما دعاهم الى التعاون مع الحكومة بدفع الضرائب لتقوم لكم بالخدمات فكان جواب الثائر

(لماذا ثرنا اذن ؟ اذا كنا ندفع ضريبة الحكومة) . وقد ثارت ثائرة (مسز بيل) وعطلت (المفيد) لمدة شهرين كاملين ، وثار علي بعض الوطنيين المتحمسين اذ اعتبروا ما استشهدت به من قول الثائر لفيصل الاول رحمه الله اهانة للثوار والثورة العراقية . اما (مسز بيل) فقد اعتبرت مقالي خطرا على سياسة الاستعمار في العراق لان سلاح الثقافة هو الذي يخشاه المستعمرون لانهم يدركون أكثر من شبابنا المتحمسين بان العلم من اهم الوسائل بل هو كل الوسائل ليقظة الشعوب الراقدة في سباتها العميق ، هذا هو الاثر الذي تركه مقالي في نفس (مسز بيل) . وقد جهل مغزاه وفحواه أبناء بلادي المتعلمين المتحمسين مع الاسف ، ولا أريد ذكر اسمائهم هنا ، ولا شك فان الفرق بعيد بين الحماسة العاطفية وبين الفكر النفاذ في معالجة الامور والقضايا العامة وقد نقل لي احد الثقات من حاشية المرحوم فيصل الاول عن ارتياحه وتقديره لمضمون المقال .

من المعارك الادبية والاجتماعية اثرتها على صفحات (لسان العرب) قضية الحجاب والسفور وقد اغلقت وزارة الداخلية باب المناقشات بين المحافظين والتقدميين بعد احتدام المعركة وقد خلع علي المتطرفون لقب (نصير الحجاب) وفي الحقيقة كنت عدو التبرج الجاهلي وما زلت على رأيي فكنت جديرا بلقب (نصير العفاف الاسلامي) لو كان هناك انصاف ومروءة وقد حققت الايام ما حذرت منه قومي من شرور التبرج في الاسرة والمجتمع ، ومن الطريف انه قبل سنة ضمتني مجمعة مع الاستاذ بكر صدقي وكان بجانب اليسار في تلك المعركة فقال لي :ـ (كنت يا ابا اديب على حق ، وما كنا نتوقع ان يتجاوز السفور الوجه والصدر ، وقد اتسع اليوم الخرق على الراقع) ولات حين مناص .

* * * *

امل الشبيبة يتحقق بعد المشيب :

كنت في عهد الصبا مع صفوة مختارة من لداتي وأترابي وأخداني نسبح سبحا طويلا في سماوات الخيال المجنح اللذيذ ، وكنا لا نفيق من سكر الوطنية ورحيق الحرية واحلام الاماني الحلوة التي توحيها لنا مطالعتنا في الكثير من المجلات خلال الربع الأول من هذا القرن ، والفكرة الوحيدة التي كانت تدور في رؤوسنا وتجسد لنا الامل الباسم المداعب لارواحنا والمدغدغ لقلوبنا صباح مساء هو احياء مجد العروبة ومثلها الرفيعة وارساء قواعد الحكم والسيادة الوطنية على اساس العدل الاجتماعي ، والسماحة القومية الاسلامية • ومن جملة تلك الاماني التي كنا نتمناها ونسعى في تعجيل تحقيقها هي احداث ثورة فكرية اجتماعية بيضاء تقتلع الجذور النخرة الخاوية والغروس العفنة التي غرسها في التربة العربية الحكم العثماني الفاسد المتداعي ومن ثم تطهير الحقل من البذور السامة التي بذرها رجال الاحتلال للقضاء على روح النهضة القومية واليقظة الوطنية وتحريم الاقطاع والاثراء غير المشروع وتخفيف ويلات الترف التي هي علة انحلال المجتمعات وانعدام الخصائص الخلقية في الامة • وليس من ينكر انه كانت حكومات اقطاعية وحشية داخل الحكومة تصول وتجول بمقدرات البلاد والعباد ، تلك الحكومات هي المشيخات الجاهلية التي يدعم سلطانها قانون العشائر الذي شطر تشريع الدولة الى شطرين عشائري ومدني حتى أصبح ثلثي السكان يخضعون صاغرين لحكم الاعراف القبلية وشرائع الجاهلية الاولى التي حرمها الاسلام ودساتير قرن العشرين • وأخيرا شرع حماة الاقطاع بايحاء اسيادهم الانكليز قانون اللزمة والتسوية لنهب المشائخ البقية الباقية من الاراضي الاميرية واستعباد فلاحيها ، حتى أصبح الشيخ الاقطاعي عند اللزوم يهدد الحكومة ويخل بأمن البلاد بعبيده الفلاحين ، وتارة يهدد رعيته بسلطة الحكومة وسجونها وهي دائما عند اشارته وامره المطاع ،

لاشتراك منافعها ، لهـذا كنت واصحابي نشعر ونجاهر باللسان والقلم بضرورة هدم كيان المشيخات والغاء القوانين البدوية المجانفة لسنة التطور الاجتماعي والحضاري وتوزيع مـا تحت سـيطرة سلاطين الاقطاع من عشرات آلاف الافـدنة على الفلاحين واكثرها كانت تبقى بورا لا يستطيع الاقطاعي زراعتها بمرأى ومسمع من الحكومة المركزية التي لا تريد ان تكدر خاطر هؤلاء الكبراء الوهميين الذين هم صنع ايديها ، وقد تجلى وانتضح خواء تلك الجذوع المنقعرة يوم ١٤ تمـوز سنة ١٩٥٨ • ولو عملت الحكومات الوطنية على ربط الفرد بالدولة وجعلته لا يدين لغيرهـا بالولاء وحمتـه من عبـودية الاقطـاعيين وحـررته من سـائر العبوديات الاقتصادية والمرضية والجهالة لكانت قد خلقت مجتمعا حضاريا عصرياً ••

تلك هي الاماني التي كنا نعلل انفسنا بيوم الفتح في تحقيقها ، وهي يعلـم الله ما كانت تفارق أذهاننا في الغدو والآصال • ومن المحزن انـه كلما يقوى صوت الجمهرة الواعية وتشتد صيحة طلاب الاصلاح تهب في وجوههم قوى الشر المجندة لكمّ الافواه وحصد قوى الخير المتمثلة في الشباب الصاعد المدرك • وهكذا كان الصدام سجالا بين الرجعية الاقطاعية الليدة والرأسمالية المترفة الفاسقة الظالمة وبين طلائع التجديد والاصلاح • وهكذا استمر المد والجزر وبعد اربعين سنة تحققت بوادر الامل المنشود بتحديد شرور الاقطاع والغاء نظـامه والاجهاز على الرأسمالية المتحـدية للدين والاخلاق والمثل الانسانية السامية •

* * * *

العهد الذهبي للصحافة العراقية :

ومما اذكره بمرارة وألم ما آلت اليه الصحافة العراقية في عهـد الحكم الوطني ، اي بعد دخول العراق في عصبة الامم • فقد فقدت كثير من حقوقها وانحطت مكانتها التي كانت عليها ايام الاحتلال والانتداب •

اقول هذا وتاريخ الصحافة العراقية يشهد لي بذلك ، فكانت الصحف الوطنية وفي طليعتها جريدة الاستقلال الشهيرة صحيفة الشباب المجاهدين قد سهدت عيون ساسة الانكليز ، فالعهد الذهبي الحقيقي للصحافة العراقية هو عهد النضال العربي على جنبات وادي الرافدين قبل دخولنا عصبة الامم • اما من بعد ذلك فلم تعد تلك الاقلام الحديدية التي كانت ترغب المسؤولين وتزلزل الكراسي من تحتهم بحماسها الوطني وفي ميدان المعارضة • وكان الوزراء يهتمون كثيرا بصوت الصحف النزيهة حزبية أو غير حزبية ولها حرمتها في المقامات السياسية ، وعلى ان الانصاف يقتضينا ان نقول ـ ان الصحافة في العهد الوطني لم تعدم لوح المعارضة ولم يصرفها الا صفر الرنان عن ابداء الرأي والمصارحة في سبيل المصلحة العامة والقضايا الوطنية • فكانت تنتقد على قدر ما يسمح لها الظرف عندما تتعرض كرامة الوطن الى الخطر أو تتأثر معائش الشعب من جراء تصرفات المستغلين والمحتكرين واهمال الحاكمين • بيد ان هذا المظهر مهما كان شريفا لم يبلغ الشرف الذي كانت تزدهي به أيام الاحتلال والانتداب ، فكانت تملك من الحرية والجرأة وصدق الجهاد ما لا تملكه صحف الشرق قاطبة غير مبالية بابراق الحكام وأرعادهم وحرابهم المشهرة على الرقاب ومطاردة الكتاب والادباء والشعراء • ويعود ذلك لفضل القضاء النزيه فقد كان صدره رحبا ولا يميل مع الهوى أو يصدر الاحكام بأمر الوزير وبالتلفون كما كان يقع في بعض عهود الحكم الوطني مع الاسف ، وعلى شدة كرهنا لعهد الانتداب يجب ان نعترف بالحقيقة ولا نغمط الحق ، في ان صوت القانون كان مهيبا في النفوس وكثيرا ما أفرجت محاكم ذلك العهد البغيض عن الصحف وأصحاب الاقلام الحرة المناوئة للسلطة • وفي سنة ١٩٢٧ اصدرت جريدة (النظام) وهي أدبية ايام كنت موظفا في التفتيش المالي وكان القانون يساعد ان يصدر الموظف صحيفة أدبية اجتماعية • وفي الحقيقة ان جريدة (النظام) قد اتصفت بأكثر المعاني

السياسية الخارجية والداخلية واتشحت بابراز الموضوعات الخطيرة التي تهم البلد آنذاك ولم يكتب فيها من حروف الادب الا ما سطر على جنبيها (أدبية غير سياسية) فقط • وقد صدر العدد الاول منها عصرا وجمعتها الشرطة مساء ، وسحب امتيازها صباحا ، وفصلت من وظيفتي ظهرا ، وقدمت الى المحاكمة بعد ذلك ، ثم سحب المرحوم السيد جعفر باشا العسكري الدعوى الجزائية • وفي احدى خطبي في مجلس النواب سنة ١٩٥٦ قد سجلت هذه الحقيقة التاريخية عن مكانة الصحافة العراقية في عهد الاحتلال وترديها في العهد الوطني وتحديد مجالاتها وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية كنت قد تردت الصحافة عندنا وهوت الى الدرك الاسفل من مصانعة الحكومات والسير في ركابها همها دق الدفوف واشعال البخور وكأن الحكومات معصومة من الكبائر والصغائر فلا تسمع بمعارضة ولا تقرأ نقدا ولا تعريضا ولا همسا حتى ولا رمزا وقد امسى الصحفي الناجح بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ هو الذي يشار اليه في سوق النخاسة كما يشار الى التاكسي للركوب ، والسعيد منهم هو الذي يركض لاهثا في ركاب الحاكمين يبصبص بين يدي من غلب ••

ولكن هؤلاء المناكيد في نظر المفكرين الاحرار لا وزن لهم الا في صفوف العبيد الارقاء ، وان ملك القصور الفخمة والمطابع الضخمة والسيارات المطهمة ، فهو اشقى الاشقياء وأخس الاذلاء ، وانه تافه وارخص من قلامة ظفر بل أقل من شروى نقير • وبظهور هذا اللفيف من المنافقين المشعوذين وبروزهم في حلبة الصحافة من الدجلة المداحة على أبواب الحكام ، نعم بظهور هؤلاء البراذين الاقزام تخلت الصحافة الحرة عن ابداء رسالتها المنيرة الهادية •

* * * *

نصيحة مجرب لم اسمعها :

من امنياتي الغاليات التي كنت اتمناها في حياتي وأسعى لتحقيقها هي ان اصبح محاميا وصحفيا في آن واحد ، ففي حب المحاماة توخيت الدفاع عن الحق المهضوم والانتصار لضحايا العدالة واعلاء كلمة القانون والشريعة في سوح العدل وقاعات المحاكم ، وفي حب الصحافة وحرفة القلم فقد كان اقصى املي ان اسخر قلمي في خدمة الجهاد الوطني والذود عن حمى الحرية وحياض الوطن وكرامته ، والمشاركة في الذب عن مواريث الضاد والامجاد القومية والاسلامية ، ومن حسن الحظ ـ والحمد لله تعالى ـ ان سدّدني الى مبتغاي وما اصبو اليه ، فملكت ناصية اليراع قبل نيل شهادة المحاماة بعدة سنين .

وقبل ان اصدر جريدة (النظام) الادبية بأسبوع طلبني رئيسي المفتش المالي العام السيد (اوسقان) رحمه الله ، وكان من الشخصيات المفكرة الكبيرة وممن حلب اشطر الدهر تجربة وخبرة وممن اشغل وزارة البرق والبريد في تركيا خلال الحرب العالمية الاولى وهي مدينة لاصلاحاته الكثيرة . ولما حضرت عنده امرني بالجلوس الى جنبه وأخذ يبذل لي النصائح الثمينة على اثر نشري مقالا في نقد المركزية في الدولة والاعمال الروتينية السخيفة المعوقة لكثير من مصالح الناس وكثير منهم مات (شهيد النمرة) أي كتاب الصادرة والواردة يصرفون اصحاب المعاملات باعطائهم نمرة تسجيل العرائض والاوامر دون ان يقبض شيئا ، وهكذا الى ان يقتله اليأس فيموت .

أخذ (اوسقان) يجود علي بنصائحه ويحبب الي ترك السياسة والاشتغال بتثقيف نفسي والتزود من مناهل العلم والمعرفة حتى ابلغ الخمسين من العمر فعندئذ يكون فكري قد نضج فأستطيع ان اصدر مجلة علمية فنية أخدم فيها البلد . هذه خلاصة نصيحة الرجل الناصح ثم ختم

كلامه قائلا لي : (يا ولدي ارجو ان تدرك ان الحكومة لا ترهبها المقالات ، وفي بلدكم هـذا الحكم الشاذ ونفوذ الانكليز مستحكم في ادارة أموره الحيوية ، فأذا خرج الانكليز وتحررت البلاد فيصبح بأمكان الشباب امثالك ان ينشطوا للخـدمة الصادقة من طريق العلـم والعرفان لا من طريق العواطف والتهريج الفارغ هذه نصيحتي اقدمها لك بلا ثمن وأجر .)

اما انا فشكرته ظاهرا ، واستثقلت نصيحته باطنا لأني كنت متحمسا بحماس الشباب وغروره ، بل كنت مستهترا بحب المعارضة وقد اتهمت (اوسقان) الناصح بالرجعية كما يعبر شباب اليوم ، وأدى بي عدم النضج الفكري يومئـذ وقلة تجربتي بالحيـاة ، الى ان اضرب نصيحة الناصح بعرض الحائط وهيأت حقيبة المحاماة وتقديم الاستقالة في نهاية الشهر ، وعلى الاثر أصدرت (النظام) التي هاجمت فيها نظام عبيـد الاستعمار في سنة ١٩٢٧ وقد دفعني الطيش وسكر الشباب الى جعل نسخة منهـا على منضدة المرحوم ياسين الهاشمي وكان وزيرا للمالية وذلك أثناء غيابه وكان امر ترفيعي قدم اليه لتوقيعه ، وعند رجوعه شاهد جريدة النظام فكتب على الامر الوزاري للترفيع هذه العبارة (هل له علاقة بجريدة النظام ، يرفع على الميزانية الجديدة) ثم صدر أمر فصلي بدل ترفيعي ، وقدمت للمحاكمة لمهاجمتي العنيفة للسيد رشيد عالي الكيلاني بيـد ان المرحوم المهذب السيد جعفر باشا العسكري أمر بسحب الدعوى وكذلك كل من ناجي السويدي والشيخ أحمد الداود قد سحبا شكواهما ضدي ، امـا المرحومان السيد عبدالمحسن السعدون واللبيب عبدالمجيد الشاوي فقـد شكراني على اقدامي وجرأتي مع ان نصيبهما من النقـد والتجريح كان النصيب الاوفر .

وعلى اثر ذلك وقبل صدور الامر بفصلي ارسل علي السيد (اوسقان) فابتدرني بقوله (اين النصيحة) فاجبته (لابد للشباب ان يلعب دوره مع

تقديري العظيم لنصيحتكم) وقد بذل الرجل جهده في سبيل ابقائي بالوظيفه فلم ينجح أمام اصرار وزير الداخلية السيد الكيلاني وحجة الهاشمي ان التضامن الوزاري يقضي بتنفيذ رغبة وزير الداخلية المنفعل الغاضب (ولا ينال العلا من طبعه الغضب) .

* * *

برقية احتجاج الى الدكتور طه حسين :

في سنة ١٩٣٨ كنت اشغل رئاسة محكمة كربلاء وقد وردت الصحف المحلية تحمل تصريحات الدكتور طه حسين المصري ودعوته الى الفرعونية والابتعاد بمصر عن الانضمام تحت لواء العروبة أو مشاركة العرب بفكرة الاتحاد أو الوحدة وكانت دعوة الدكتور طه حسين الفرعونية تلاقي رواجا واستحسانا في أندية بعض الاساتذة والسياسيين في مصر وعلى رأسهم استاذ الجيل احمد لطفي السيد وكان شعار صيحتهم وتصريحاتهم (ان مصر للمصريين) والحق لقد هزتني تصريحات طه حسين بوقته واعتبرتها تحديا قاسيا لشعور أبناء الجزيرة وأمة الضاد فأخذت القلم وحبرت له برقية احتجاج وهو يعتزم الابحار الى فرنسا للاصطياف وكانت البرقية غضبة مضرية وهذا نصها (ان شعاركم الفرعوني سيكسبكم الشنار ، وستبقى أرض الكنانة وطن الاسلام والعروبة برغم الفرعونية المندحرة) .

* * * *

هكذا كنا وكانوا والحمد لله على اللقاء حول مائدة العروبة والوحدة) .

* * * *

ملاحظـة :

هـذه الحادثة من الذكريات التي جادت بها الذاكرة المجدبة فعسى ان تلاقي قبولا حسنا من لدن الاخ الشربتي الفاضل .

* * * *

تأملات في كلمات :

(١) ان اولى مهمات الجامعات وأهل الدراسات العالية الحرة التي تستصبح بنور العقل والفكر الناضج المتحرر من العصبية الجاهلية والتعصب الاعمى الميت ، هي القيام بغربلة التاريخ العربي الاسلامي ، نعم أصبح من الواجب المحتم تنقية تراثنا القديم مما شابه وشانه من الاساطير والخرافات الملفقة والتحقيق الدقيق عن هويات رواتها المجهولين لأن منهم قد اختلقت لهم أسماء وألقاب وأنساب وهم لم يخلقوا بعد ، ولكنهم (امسوا عمدة انرواة والنقلة في الدين والدنيا ، حتى اختلط الصدق بالكذب ، والتبس انحق بالباطل ، وشوه الصحيح بالسقيم ، وانطمست معالم أكثر الحقائق بدافع الاهواء والمغريات فكثرت المفتريات من جراء الوضع والدس ، ولم تسلم منه كتب العقـائد والحديث والتفسير ، والسـير والمغازي وتراجم الرجال واختراع الفضائل أو المساوىء لهم وقد لعبت شهوات النفوس بدافع الحب والبغض وعبادة الدينار من أدوار محزنة على مرسح التاريخ في الباطل ، وتخضيد شوكة الحق وكم من صحيفة سوداء لأمير جائر عاهر ، سطرها المنافقون بالمفاخر والمآثر ، في غرف القصور ومقاصير الدور لاذلال الحق واعدام انصار الفضيلة تدعيما لعروش الاستبداد ، وترسيخا لجذور الفساد ، واخضاع رقاب الاحرار لسياط الجور والقهر ، كل ذلك قد وقع بعد افول مصابيح الهدى من الصحابة الراشدين الهداة . وقد روج تلك الدعاوى الفاسقة والاضاليل المزخرفة دعاة السوء من السماسرة المهـرة الوضاعين المتبصبصين كالكلاب بين يدي من غلب من الملوك والسلاطين .

وقد صحت فراسة عبدالرحمن بن عوف وهو من جلة الصحابة الاولين في قولته المشهورة (الا تسألوني قبل ان يشوب الاحاديث الاباطيل) عن الدار قطني في ترجمة الحسين بن علي عليهما السلام • ومن رأيي ان هذه الاعوجاجات التاريخية التي احدثها المتحرفون عن الحق والمروءة لا يقومها وينفي صفحات تاريخنا المجيد من شوائبه ، الا اهل الاصاله والرجاحة والا اهل الضمير والانصاف والبصيرة النيرة الذين لا تأخذهم بالحق لومة لائم بتعديل وتجريح الرواة مهما علت منزلتهم المخترعة وغمطت اقدارهم المصطنعة ووثاقتهم المفتعلة ، وهم كانوا شر الرجال انحاقدين ، هؤلاء الذين ارتكبوا من كبائر الدس والاختلاق واجترحوا ما شاء لهم من وجوه الاجتراح والاقتراف من غيط الحقائق وصنع الاباطيل كما يقول عبدالرحمن بن عوف بشأن الاحاديث النبوية الشريفة وهي اقدس تراث هذه الامة العتيد •

وفيما وقع في حياتنا وشاهدناه بعيوننا من خيانات للحقائق التاريخية لاكبر دليل على ما وصفنا من التضليل في الماضي مع شديد الاسف • فعلى الصفوة المختارة المفكرة في دنيا العروبة والاسلام التي تنصف بتقديس الحق والمثل العليا للقومية الاسلامية ان تقوم بهذا العبء القومي الثقيل بحياد تام ، وتمعن النظر العلمي الفاحص في غربلة الدخيل الملصق بتاريخنا وبتراثنا الضخم وبذلك يجلى الصدأ المتراكم المشين بمحاسنه ونكون قد خدمنا أجيالنا الصاعدة وحيينا لهم نهج الحق والصدق وانتهاجه فيما يشرف وترك ما لا يحلو ويزين •

* * *

غرور قومى تنكره عروبة الاسلام :

يرى المتطرفون بفكرتهم القومية الجاهلية ، ان العهد الجاهلي ، هو العهد الذهبي للعرب ، وان كيانهم الانساني قد نشأ في ظلال هبل ويغوث

ويعوق واللات والعزى ومن مزاعم غرورهم القومي (ان الجاهلية العربية في عهد الفطرة كانت المشاعر منسجمة بين الميول ورغباتها ، تغمر الناس سرورا ونشوة ، فتحملهم نحو أهدافهم متفائلين ، وكانت النزعات المنطوية عليها النفس تتجاوب في ذاك العهد مع المؤسسات فتفيض الحياة من هـذا التجاوب خيرا وجمالا ، وفي عهد الفطرة هـذا كان الاجداد يستوحون اعمالهم مما انطوت عليه نفوسهم من مثل عليا فيقبلون على جلاء الامور وهم يجهلون النتائج ... الخ) .

ومن يتأمل هذه المزاعم والخيالات البعيدة عن واقع الجاهلية يرى رأي كل عربي مؤمن بعظمـة الاسلام في ان العهـد الذهبي للعرب بل وللانسانية جمعاء هو عهد الرسالة المحمدية التي حملت شـعار العروبة لتحرير العرب وأبناء الغبراء معا من كابوس العبودية وسلطان الرذيلة برغم ما امتـازت به فطرتهم السليمة وانطوت عليـه من معاني الخير والصفات الانسانية وحسبهم فخرا عند الرهان انهم حملة رسالة القـرآن وجنسية القرآن عربية المولد عالمية الرحمة لا شرقية ولا غربية ، أي جمعت بين الروحية الشرقية والمادية الغربية ، وقد اعز الاسلام ذلة الجاهلية واذل نخوتها الباطلة وعزة الشرك والعدوان وخيلاء المتجبرين واحلامهم الطائشة في ظلال الاوثان وقضى على الضغائن الدفينة وأخمد نيران الاحقاد المشبوبة والغارات المشنونة فصفت نفوسهم من كدر الاهواء المردية واهتدت قلوبهم بعد حيرة الضلال واستنارت عقولهم بعد الظلمة بنور الايمان واليقين فنجو من تيه الجاهلية الجهلاء ودواجي الفتنة الظلماء وأصبحوا في وحدة عصمتهم من غطرسة جبابرة الارض والفة طهرت ضمائرهم وحمتهم من شرور التفرقة والتشتت . وقد اضحوا يمضون احكامهم فيمن كان يجربها ويمضيها فيهم من اكاسرة الفرس وقياصـرة الروم ، فنعموا بنعمـة الحرية والاستقلال عوض العبودية والاذلال . وقد حذرهم صـاحب الرسالة (ص) من كبر الحمية وفخر العصبية والتفاخر برميم العظام البالية وحثهم على العظـائم

الباقية لان المفاخر بالانساب والاحساب من ملامح الشيطان وبذور العنصرية التي امانها الفرقان •

واذا كان لابد من العصبية القومية فلتكن فيما طاب وزكا من التعصب لاحسن الشمائل العربية والامجد من المكارم الانسانية والفعال الحميد والدعوة لما يجنبنا من كسب المحامد المجيدة كما كان دأب اهل المجد والشرف من سادات العرب النجباء ويعاسيب القبائل المجداء وفرسان الجزيرة في نصرة العروبة واغاثة الصارخ ونجدة الحليف المظلوم وحفظ الجار ورعاية الجوار واعالة البائس الفقير والاخذ على يد الظالم الجائر الى غير ذلك من خلال الخير والفضل وبذلك نكون قد طهرنا المجتمع من شرور الفساد الاجتماعي واقمنا صرح اخلاق العروبة الاصيلة التي هي خلق القرآن العظيم اذا لم اقل بان القرآن عنوانها ومثالها الاسمى والاعلى •

اما القول بان العهد الجاهلي كما يزعم ابناء الحمية واخوان الجاهلية كان العهد الذهبي للعرب فهو من همزات الشياطين وايحاء ائمة الطاغوت ليخرجوا جيلنا العربي الاسلامي من النور الى الظلمات ومن حرية الاسلام الى عبودية الاوثان ومن كرامة الفكر والعقل الى مهانة الجهل وظلام الروح •

فلم تزل دنياكم مظلمة حتى اضاء كوكب من هاشم

ادعاء باطل :

زعم كاتب عربي قدير معروف عن (الحس الخلقي وتطوره عند العرب) وقد نشره في احدى المجلات العربية اللبنانية جاء فيه (كان أول دور من أدوار ازدهارها أي الاخلاق العربية ـ التاريخي في نشوء الحركة الاسلامية وبداية امتداد الحركة وانتشارها اذ فقدت صبغتها العربية آنذاك وأصبحت اخلاق اسلامية الا ان اصطباغها بالصبغة الدينية اساء اليها من

بعد وافقدها ركائزها الاساسية كنظام اخلاقي مستقل اذ أصبح من المفروض ان يتخلق بها كل من اعتنق الاسلام ... الخ) .

وعند التأمل في هذا الادعاء واصل الفكـرة ، كان مجمل تعليقي في رده وتفنيده هو (ان الشرف الذي انغمس فيه الفرد العربي بعد ان صبت الدنيا بجمالها عليه كما قال إبن خلدون حول تأثير الشرف في حياة الامم والافراد هو الذي افقد ركائز الخلق العربي الاساسية وليس الاصطباغ الديني وانما العكس هو الصحيح اي عندما ضعف الوازع الخلقي القرآني في نفسه فالآفة ناشئة من داخل ذاته وليس من تأثير عوامل خارجية أجنبية مهما كان خطرها لو ان الوجود العربي كان قد حافظ على سلامته ومناعته الخلقية الموروثة . وقد نص دستور العروبة والاسلام الخالد على هذا المبدأ الاجتماعي الخطير فقال (لن يغير الله ما بقوم حتى يغـيروا ما بانفسهم) صدق الله العظيم . أما العروبة فقد فقدت ركائزها الاخلاقية الاساسية في وقت مبكر بعد انحرافها عن المثل القرآنية التي كانت سبب ازدهارها ودعائم نهضتها وتحررها في عصر الخلافة الراشدة ، وقد حذرهم رسول الاسلام ومنقذهم الاعظم من هذا المصير بتجنب آفات الترف والتمسك بحبـل الله الممدود وبعرى الثقلين[1] .

وأخيرا اعترف الكاتب القومي المغالي في جوابه على تعليقي بصحة هذه المؤاخذة والحمد لله ..

* * *

(٤) السم في الدسم :

من تطور التبشير الغـربي الاستعماري في ربوع الشرق العـربي والاسلامي هو تغيير أساليبه القديمة التي كانت تقوم بها المؤسسات التبشيرية

---

(١) نشر مفصله في العدد الممتاز ـ تموز وآب ـ من مجلة المعارف البيروتية ١٩٦٢ .

على حساب الاستعمار هنا وهناك ولما شعر الاستعمار بعدم جدوى تلك الاساليب المفضوحة لجأ الى أسلوب جديد مبتكر خلاب فاتخذ طريق البحوث الجامعية واستخدام طريقة يطلقون عليها التحقيق العلمي أو التفكير الحر والمناقشة الحرة ، والغاية من وراء تلك العناوين والاسماء هي زرع بذور الريبة والشكوك في صدور الشباب العرب والمسلمين ليخلعوا عنهم أثواب امجادهم ومواريثهم المقدسة وليخرجوهم من النور الى الظلمات ، ظلمات الاستعمار الفكري والروحي بضياع سلاح العقيدة والايمان وتفكك عرى الاستمساك بشريعة القرآن وتعاليم الرسالة المحمدية التي اخرجتهم من جحيم العبودية الى جنات وفراديس الحرية وانقذتهم من سلطان الاكاسرة والقياصرة ثم ليردوهم كرة أخرى الى السيطرة الاجنبية وحياض الذل • ومن المؤسف حقا بل من المحزن المفتت للاكباد ان تجرى تلك السموم الفتاكة على اسلات أقلام بعض الاساتذة والدكاترة المسحورين والمخدوعين من العرب مسلمين وغير مسلمين الذين نهلوا المعرفة المسمومة على يد بعض المستشرقين ممن نذروا انفسهم وأقلامهم لهدم العقيدة السليمة والاخلاق القويمة والتشكيك بالرسالات السماوية في الوسط الجامعي والمدرسي وهدفهم الاول والوحيد هو رسالة الاسلام على كل حال لعلمهم انها الرسالة الوحيدة الصامدة في وجه الغزو الغربي وهي أمنع حصن حصين يلوذ بركنه عشاق الحرية والارقاء الذين اذل رقابهم طواغيت الاستعمار وجبابرته •

اجل هكذا فعلت رسالة الاسلام في دورها الاول وهي لا تزال ولن تزال العلاج الشافي لادواء البشرية وعلل الروح الانسانية المعذبة ومصدر الانوار للعقل البشري عندما تتشعب به المتاهات المضلة وتدلهم عليه ظلمة الشكوك ووجوه الريب ومسالك الاهواء ، فيأمن المعتصم بعقيدته من الزيغ والاعوجاج وسبل الضلال • ومن وضع السم في الدسم أو قل في جريان

الاقلام في الاضاليل التبشيرية ما قرأته في مجلة المعارف البيروتية في عددها الممتاز الذي يضم العددين (كانون ٢ وشباط) لسنة ١٩٦٣ تحت عنوان : (المفهوم العقائدي لدى العرب) بقلم الاستاذ الياس العشي في الجامعة اللبنانية ـ كلية الحقوق ـ وقد هاجم فيه الرسالات السماوية وبخاصة رسالة الاسلام ، ومما قاله : (.. ان الاديان السماوية وخاصة المحمدية باعتبارها الدين الرسمي للعرب لم تقم معتقداتها على الاحكام والحجج والاركان العقلية ، وانما على الايمان المطلق بوجود الله وأنبيائه ورسله ، وهذا يعني ان السلطة الدينية لا تجد نفسها مجبرة من تقديم البراهين العملية على صحة معتقداتها وهي ان قدمت فتكتفي باليسير وترمي ثقل مبادئها في ايمان أبيض مطلق) .

هذه هي خلاصة الاقاويل والتهاويل من الاباطيل والاضاليل التبشيرية المعينة التي تسربت من الوسط الجامعي الى أذهان شباب وشواب العرب من غير المسلمين وبعض المسلمين معا عن قصد أو غير قصد كما قلت آنفا . بيد انه مما يسر النفس ان الاستاذ (العشي) قد فضحته غشاوته عن رؤية النور القرآني وسدت غشاوته التي رانت على فكره وقلبه من ان يهتدى الى فضل رسالة الاسلام في تمجيد قدسية العقل وتحميد الفكر واعلاء شأن العلم وفقه القلوب واشادتها بقوة البصائر المشعة والابصار الحادة والاسماع الصاغية لاستماع البراهين والحجج والادلة وقد فاته سامحه الله ان يرجع الى تلاوة الآيات القرآنية التي تخاطب أصحاب العقول والافهام المدركة والقلوب الواعية والافئدة الشاعرة الحساسة بتلك اللغة العبقرية وأساليبها العبهرية الرفيعة . ولم يدر ان جميع سور القرآن وآياته قد نوهت عن فضل العقلاء والمفكرين في ملكوت السموات والارض وفي صنع الله وبدائعه الكونية ، وهو (بديع السموات والارض) فمن تلك الآيات الكريمة (.. ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي

الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) • وقوله تعالى (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) • وقوله (وسخر الله لكم ما في السموات والارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) • وفي القرآن كثير من الآيات التي تلفت نظر ذوي الفكر والنظر واللب السليم ، كما ذم القرآن الكريم الجهل والجهلاء والصم والبكم والبلداء وقد شبههم بمختلف التشابيه المقززة ومثلهم ونعتهم باسوأ النعوت المنفرة •

واقام الاستاذ (الاعشى) أو العشيّ الدليل على انه لم يطلع على كتب الفلسفة الاسلامية وآراء علماء الكلام الاسلاميين ولم يقف على الحجج والبراهين العقلية التي ترتكز عليها دعائم العقيدة الاسلامية وعلى المناقشات العميقة المحتدمة بين عظماء المعتزلة وفحول الاشاعرة ، وعباقرة الشيعة الامامية وبين فهماء بقية الفرق الاسلامية ، حول شتى المعتقدات في الكون والطبيعة وفي الحياة وبعد الموت وكل ما يتعلق بالخليقة وخالقها ومبدعها العزيز الحكيم •

اجل ! ان كلام الاستاذ (العشي) آمنه الله في عشه وعيشه كان برهانا على انه لم يشم عبقات الفلسفة الغزالية ولا نفحات الحكمة الرشدية ولا يأنس بلمعات الواصلية ولا شعر بالاشعرية والامامية الجعفرية كما انه لم يتذوق بعلم الجدل القرآني في افحام أهل الشرك والالحاد وفي اثبات عقيدة التوحيد ودلائل الايمان وابطال دعوات الشرك الفاسدة الواهنة الداحضة بقواطع الادلة وسواطع البراهين وزواهر الحجج العقلية والنقلية • وقد ابى دعاة التبشير الاستعماري الا الدس والتشكك في سماحة الاسلام وزعزعة اتباعه ومعتنقيه من الشباب الجامعي باسم البحث الحر وما هو

بالحر ولكن وضع السم بالدسم فليحذر جنود العروبة والاسلام من سموم العشوش والاوكار والوكون .

قدسية اللغة وعظمة الكلمة :

قال تعالى (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها .. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار .) الآية .

لقد أشارت هذه الآية الكريمة الى سر دقيق قد غفل اكثر المفسرين بل اغلبهم عن بيانه ولم يذكروا من محاسن هذا التمثيل والتشبيه في الآية الا الاعمال الصالحة والطالحة . وعند تأملي في معانيها الشريفة ادركت سرا جليلا من اسرارها العجيبة وهو لفت نظر العلماء والفهماء الى قيمة العقل اللغوي وقدسية لغة القرآن وتحبيبها للناس لان اللغة هي أصح المعايير لفهم عقلية الامة وتقدمها الفكري وهي أقوى الروابط القومية ، ولا حياة ولا بقاء لامة اذا فقدت مقومات لغتها وحبوتها والكلمة في القرآن تفيد أكثر من معنى خطير . اما ما معناها في هذه الآية عدا انها ترمز الى عمل الخير والشر ففيها معنى ابعد من ذلك وهو الاشادة بلغة الكمال الانساني المطلوب لكل مؤمن في المثل القرآنية الرفيعة وهجر لغة النقص والشر والجهالة واللغو الفارغ . فمن يحسن في رفع قدر اللغة ويجيد تمجيد شأنها ويدرك خطرها الكبير في الحياة يكثر خيره ويعم فضله في المجتمع الانساني كالشجرة الطيبة المباركة التي تؤتي اكلها كل حين باذن ربها . اما الجاهل المسيء لحرمات اللغة والمشوه لجمالها باستعمالها في المنكرات والخبائث الاجتماعية وغيرها من وجوه الشرور فيكون قد خان الامانة الكبرى في معاملاته وعلاقاته مع بني الانسان قاطبة وقد عظم الله شأن اللغة واهميتها في حياة الامم والاقاويم ـ الاقوام ـ وتبليغ الرسالات

السماوية فجعلها الامانة الكبرى على قول بعض المفسرين فقال تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال .. الآية) وقد أيدت الدراسات الحديثة هذه الحقيقة القرآنية ، فعلى الانسان ان يهتم بتقديس العربية ويحرص على شرف الحرف العربي ويؤدي أمانته في مجالات الخير ، ولخير الانسانية عامة ، لانها امانة الله الكبرى في عنقه ، وقد حمله اياها بعد ان اشفقت السموات والارض والجبال ان يحملنها لثقل وزنها . فتأمل قدسية الكلمة وعظمتها وكيف يحمل الانسان على ان يستخدمها بدليل قوله تعالى : (ان السمع والبصر والفؤاد ، كل اولئك كان عنه مسؤولا) صدق الله العظيم ..

* * * *

النقد الذاتي وقوة الرأى العام في نظر العربي :

كان الفرد العربي في جاهليته وصدر اسلامه شديد الاحترام للرأي العام عظيم التقدير لمبدأ النقد الذاتي ، كثير الخوف والقلق النفسي من سخط المجتمع ومحاسبته ، فكان ولوعا بحب النقد الذاتي اذا خلى ونفسه أو الجأته ضرورة الدفاع امام محكمة الرأي العام . لهذا تراه يغامر بكل ما لديه من رخيص ونفيس لئلا يقال عنه بخيل أو يوسم باللؤم ، بل ويتجر- عند اللزوم عن كل ما يملك في الحياة اتقاء لمذمات الرجال وسوء الاحدوثة ، فهو يخاطر بنفسه وهي أغلى وأثمن ما يجود بها الانسان ويفضل الفناء على الوجود دفعا للعار عن اسرته وقومه اذا ما اتهم بالجبن أو تقاعس عن حماية الجار أو تهاون بحق الضيف ، ونجدة الملهوف او اغاثة الطريد ، الى غير ذلك مما يعده من نقص المروءة ومعائب النفس وسوء السلوك الاجتماعي بين القبائل واحياء العرب . وقد زخرت دواوين اشعارهم وقصصهم وسيرهم بأروع الامثلة وأطيب الكلم وابدع الحكم في تقييم قواعد النقد الذاتي اي محاسبة النفس كما يقول سيد العرب علي بن أبي

طالب (ع) : (يا ابن آدم حاسب نفسك قبل ان تحاسب) • اما اليوم فكلما تعلم الفرد منا وتمدن وتقدم في حضارته ازداد من الثقافة الجامعية استخف بقوة الرأي العام وانعدم احترامه لـه وتنكر لوجوده واحتقر رقابته بل جحدها بالمـرة وتحلل من قوانينه واستهان بسلطانها • وهـذه اللامبالاة بالرأي العام هي من اهم الوسائل السلبية للفساد الخلقي والاجتماعي وتفكك اواصر الاسرة والعلائق والروابط الاجتماعية ان لم نقل في مقدمة أسباب تردي حياة الافراد والمجتمع وتخلفه عن الرقي والتقدم ، لأن الرأي العام هـو القوة الرادعة والمقومة للاعوجاج والمحكمة العليـا التي تدين السيد والمسود والفاضل والمفضول اذا ما حاد عن سنته وانحرف عن نظامه العام كما تشهد بذلك الوقائع النادرة في المجتمع الانكليزي باتباع النبذ والاحتقار الاجماعي لمن يخرج على تقاليده واعرافه •

* * * *

المجتمع الشـقي :

اذا ساد سوء الظن بين الشعب وحكومته فقدت الثقـة بين الحـاكم والمحكوم واختلت موازين العدل وسادت الفوضى وانعـدم سلطان الرأي العام واستفحلت الاثرة والانانية • فعلى امام الامة وقائدها ان يوثق عرى الثقة بين الراعي والرعية بمـا يحقق للرعية الاطمئنان براعيهـا وتوسيع رفاهيتها واستقرارها باشاعة العدالة في المجتمع وتأمين حقوق أفراده من اعتداء الاقوياء وانصافهم من الحكام الجائرين وعلى الرعية مقـابل ذلك واجب الطـاعة واحترام قوانين الدولة وانظمتها المشروعة وذلك لترسيخ قواعد الحكم الصالح واصلاح البلاد • وبذلك تقوى روح التضامن ويشتد التعاون ويعم الرخاء وتنتشر الطمأنينة والثقة بين الراعي والرعية أو الوكيل والموكل والا فاحكم على المجتمع بالشقاء والفنـاء واندبه بالبكاء والعويل لخراب أخلاق القائد والمقود (سنّة الله في الذين خلوا من قبل •• ولن

تجد لسنّة الله تبديلا • الآية) •

* * *

الحضارة والمدنية :

بين المدنيـة والحضارة فروق أساسية ، فكـل حضارة تنطوي على خطوط وظواهر من المدنية • وقـد تكون المدنية علـة لنضج الحضارة وكلتاهما يشتركان في تنمية العقل البشري وترقية وازدهار الفنون والمعارف الانسانية • ومن الفروق التي تميز احداهما عن الاخرى هي : ان الحضارة قد تتوارثها أجيال الامة مع الاصطفاء لبعض انماطها حسب مقتضيات الزمن وتغيرها وتجددها وفق قانون التطور ، اما المدنية فلا تنتقل من جيل الى آخر بل كل جيل يصنع مدنيته لان أساليبها في تنوع مستمر ، فكلما تقدم العلـم والاختراع والثقافات العـامة تعددت وسائل الحياة المـادية للفرد والمجتمع • والحقيقة كمـا قرر الفيلسوف الالماني (شبنجلر) ان لفظي المدنية والحضارة فيما تؤديه الوسائل والغايات وبعبارة أصح ما تفصح عنه ثنائية الروح والجسد أو قل ثنائية الروح والمادة •• فالمادية تتوفر عليها وسائل المدنية بنتيجة الفعالية الذهنية في الانسان والروحية تتمثل في نشاط الفرد والمجتمع في رعاية وتجديد التراث التليد الخالص من تقاليد وعادات ومعتقدات وقوانين ومقدسات • والنتيجة فالمدنيـة والحضارة يتقاربان في بعض خصائصهما ويفترقان في عناصرهما ولكنهمـا مزدوجان في الثنائيـة يعسـر افتراقهمـا من أهدافهمـا ووظيفتهمـا التاريخيـة والاجتماعيـة والاقتصادية • وقـد صنع العرب بدورهم وفي عصورهم الذهبيـة أرقى حضارة انسانية في شتى مجالاتها الفكرية والروحية وانشأوا مدنية جمعت بين المادية والوجدانية في زمن كان أبناء الغرب في بداوة مظلمة وجاهلية جهـلاء •

* * *

الفرق بين الشرقي والغربي :

ان الاول يجهل طول حياته لغاياته الروحية ، اما الثاني فلا يفكر بروحه وانما فيما يخترعه من وسائل تأمين حياة جسده وملاذه الحسية . لهذا تراه قد شغف بحب السيطرة والاستعلاء على اخيه الشرقي واستعباده بلا رحمة والخير كل الخير في الاخذ بما يسعد الجسد والروح دون الاستئثار بحق الغير كما أمرت رسالة الاسلام فهي شرقية وغربية عادلة ، رحيمة .

* * *

يحرصون على سمعة كلابهم !!

طلبت احدى حكومات الشرق الاوسط الى حكومة فرنسا ان تزودها بعدد من كلابها المدربة على طرائق وأعمال التحقيق الجنائي والمتمرسة بكشف ما غمض من الجرائم واثار المجرمين . وقد ماطلت الحكومة الفرنسية باجابة الطلب ، وأخيرا رفضت تقديم الكلاب معتذرة بان هذا الجنس النادر من الكلاب كلف فرنسا اموالا طائلة وجهودا عظيمة في سبيل تربيتها وتعليمها للاختصاص بفن التحقيق الجنائي . لهذا فهي تخشى خشية كبيرة ان تساء سمعتها من جراء تصرفات رجال التحقيق غير القانونية وخيانة واجباتهم ببراءة المتهم واتهام البريء فتذهب تحريات الكلاب وجهودها عبثا وتتهم بعد ذلك بالاخفاق لعدم اصالتها وتجربتها . وفي هذه التهمة واشاعتها ما فيها من سوء السمعة والفضيحة لكلاب فرنسا ، ولأجله رفضت نهائيا من استخدام كلابها لدى الحكومة الشرقية الملتمسة حرصا على سمعتها وخبراتها الفنية ، فتأمل !!

وبعد ان اتم الصديق رواية هذا الحديث الطريف المشحون بالعبرة البليغة اطلت التأمل والتفكير في وجه الراوي الصادق ثم قلت له : (ليت

فرنسا بادلتنا صرف الدينار بالدرهم فنعطيها عشرين من المحققين والحاكمين المدومي الضمير ، مقابل كلب أمين واحد) .

* * * *

علاقة الحرية والحياة :

بين الحرية والحياة معنى مشترك غير قابل للتجزئة ، فاذا تعطل احدهما انعدم وجود الثاني . فالحرية معشوقة الاحياء والعبودية للمسوخين من اموات الاحياء كما قال الشاعر الحكيم :ـ

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحيـاء

الاستعمار الفكري :

الاستعمار الفكري والروحي اشد شرا من الاستعمار السياسي والاقتصادي ، أي ان عبادة المبادىء الجديدة على علاتها وتقدير مقام اصحابها دون مناقشتها ومعرفة صلاحها من فسادها أو بصرف النظر عن ملائمتها او عدم موافقتها لحياة الامة وتاريخها وتقاليد القومية بل لمجرد مكانة اربابها فهذا من العمى والضلال ، لان استعباد العقول واغلال الافكار بآراء مبتدعة وفلسفات وجودية أجنبية هي اشد خطرا واعمق تأثيرا واسرع هدما لكيان المجتمع من جراثيم الوباء ، ولكن من يسمع ويجيب !؟ .

سوانح وخواطر :

(١) رب سانحة لخيّرين تغني عن مشورة ذوي التفكير ، ورب خاطرة لمجرب حكيم اجدى من الملمات من اغاثة الغيث للارض المجدبة .

(٢) الحرية أول كلمة مباركة قدستها ألسن الانبياء والرسل والحكماء ، وافضل شهدائها المؤمنون بقدسيتها الذين قدموا ارواحهم قربانا

لنصرة رسالتها .

(٣) الكلام الحر المستنير اقوى سلاح في وجه الاستبداد والعبودية .

(٤) اذا فرت الحرية من باب دخلت العبودية من الباب الآخر .

(٥) اذا خفت صوت الاحرار ارتفع صوت الاشرار .

(٦) اغرب الغرباء في عهد (الطاغية) الحرية ، واضيع الاشياء (القانون) واعز مفقودين بندبهما جميع الناس (جمال العدل) و (سلطان الضمير) .

(٧) في العدل عز الحق واذلال الباطل .

(٨) لا حياة لامة لم تمجد الحق والحرية وتقعد عن الذب عن سيادة العدل .

(٩) معنى الثقافة عندي هو تكوين الانسان شخصيته وتهذيب منازعه بطُرف من المعرفة والسلوك الخلقي ليرتقي الى افق الانسان الكامل ، وليس بشرط ان يتوفر على اكثر العلوم والمعارف .

(١٠) الامة التي تتهاون بأقدار احرارها محكوم عليها بالزوال .

(١١) الفتن تغرس الاحن وتذهل الفطن .

(١٢) ربما اذهب الشغب بالذهب وقضت الغوغاء على الرخاء .

(١٣) انفس الاعلاق جمال الاخلاق .

(١٤) الجم السفيه بالسكوت عنه ، وازجر المسيء بالاحسان اليه ان استطعت ..

(١٥) الغضب ينسيك الادب .

(١٦) ابعاد الاوغاد ريح للرعية والمجتمع .

(١٧) مروض الاسد اشد عناء ومشقة من مصارعه .

(١٨) الانصاف شاهد صدق على طهارة الضمير .

(١٩) كم من خطر جاء من وطر ورب عيث جاد به الغيث .

(٢٠) رب مجالدة خير من مجادلة .

(٢١) مصاحبة الادباء الفضلاء والعلماء الصلحاء تذلل مراقي العلياء .

(٢٢) خير الدساتير ما كان ابعدها اثرا في خدمة العدالة والحق والقانون .

(٢٣) الرحمة اعم من العدل .

(٢٤) أكثر الدساتير صلاحا ما كانت مستمدة من تقاليد وعقائد الامة ومن ضميرها ، وتزداد جمالا وحرمة اذا طبقت بأمانة واخلاص .

(٢٥) كفى بالاستبداد شرا تقدم الاشرار على الاحرار الاخيار .

(٢٦) رب مقال يغني عن صولة الابطال .

(٢٧) قد يصل المجتمع الى الكمال اذا قدس فيه الحق والحرية لذاتهما ، وهذا الشرط لا يتحقق الا على أيدي اهل الكمال الانساني .

(٢٨) الكذب والنفاق والخداع من نصيب كل عصر ولكن تشتد اخطار هذا الثالوث وتشيع غوائله اذا خبث الزمان واستشرى داء الاستبداد .

(٢٩) علة الفوضى والظلم تكمن في الحب والبغض في الحكم وايثار المسيء على المحسن .

(٣٠) كم من عليم اثيم وزاهد هضم حق اليتيم .

(٣١) العمل الصالح ترجمان الضمير السليم .

(٣٢) كم مؤمن شهيد قضت عليه زندقة السياسة ومرتزقة الدين .

(٣٣) كم من لفظة سببت صعقات ، ولحظة جلبت حسرات ، وعجلة اورثت فتكات .

(٣٤) المجاملة تستر عيب المعاملة .

(٣٥) رب داء في الدواء ، وصحة وفرها الداء .

(٣٦) زيادة القول نقصان ، واحكمه اسدّه .

(٣٧) جمال بلا أدب كالدر في صدر الكلب العقور .

(٣٨) اتعب الناس من كان غريبا بين الناس ، اي متميزا عنهم بخلال الخير وحسن السلوك فيقعد غريبا في بيئته .

(٣٩) المداراة وقاية بدون كلفة ، وهي من تربية النفس الكبيرة .

(٤٠) خير من تراث الانساب اكتساب المآثر بحسن الفعال .

(٤١) غم العاقل ، سرور الجاهل .

(٤٢) صوت المصلح الحر أرهب في صدر الطغاة من زئير الاسد في وحوش الفلاة .

(٤٣) ولاية غير الاكفاء بلاء وتولية الفضلاء خروج من الظلماء ورحمة للدهماء .

(٤٤) يصاد الصيد بالسهام ويصاد الرجال بحسن العشرة والافضال .

(٤٥) مودات الرجال عشيرة بلا اتفاق ، ولكنها اعز من الكبريت الاحمر وطير العنقاء .

(٤٦) الكلمة الطيبة تفتح القلوب المغلقة والكلمة الخبيثة تنفر النفوس المطمئنة .

(٤٧) المكاتبة تذهب جدب القلوب كما يذهب المطر جدب الحقول .

(٤٨) ضياء الصبح يزيد في ظلام الحاسد .

(٤٩) طباع اللئام الى الذم اميل كالحيات الى الشر أقرب .

(٥٠) كم خيانة ارتكبها مؤتمن .

(٥١) الرشوة تقطع ارشية الحق .

(٥٢) الصدق من خصال الاحرار ، والوفاء من شيم الكرماء ، وخيانة العهد من سجايا اللؤماء .

(٥٣) من اجاد ترقيق الكلام يجله اولوا الافهام ، وحسن الاختيار دليل على لب اللبيب .

(٥٤) رب وصال امر من الانفصال .

(٥٥) رب بارقة خلفت بائقة .

(٥٦) رب ثورة تركت الديار بلاقع .

(٥٧) الكلمة المؤمنة المضيئة تهدى العقول الجائرة الى مراشدها .

(٥٨) اذا شاب الاسد عبثت الذئاب بالعرين ، واذا خلى الغيل رقصت ببابه الثعالب .

(٥٩) يا ويل للامة اذا غنى شعراؤها بأعمال المستبد ، كما يقوم السماسرة بنجش البضاعة الرديئة .

(٦٠) الرياء يفصم عرى الاخاء ويذهب بمودات الاخلاء وهو أس النفاق والملق .

(٦١) خير الحكومات هي التي تمثل شرف الامة وتحترم حرياتها وارادتها العامة وتسعى لتحقيق مثلها الانسانية النبيلة ، واذا ما انحرفت عن هذه الاهداف الشريفة فللامة الحق في خلع طاعتها واستعادة امانيها الدستورية من اجرائها الجائرين .

(٦٢) النقد البريء المجدي نور وهدى وتبصير للرعاة والولاة وتعليم وارشاد وتنوير للجيل الصاعد .

(٦٣) المداجي برأيه بلا ضرورة ملجئة ، خائن لذاته ، والمحجم عن ابداء الرأي الصريح الجريء يكون قد اهدر حريته وضحى بكرامة فكره وارتضى العيش في سوق النخاسة .

(٦٤) قد تكون مغبة طفرة المصلح العبقري الذي يسبق أوانه خطرا ووبالا على امته اذا تجاهل واقع مجتمعه وقدراته الحياتية . اما في الثورة الفكرية البيضاء المضيئة وقاية من العثرات الدامية وتسديدا لخطوات الاصلاح السليمة .

(٦٥) من جهل موضع العصا فهو بموضع السيف اجهل .

(٦٦) كفى بقدر الحسام نقصا ، متى كان اداة قهر بيد مستبد قاهر وغشوم جائر ..

(٦٧) خير السيوف ما اعتزت به جبهة الحق وانفلق بحده يافوخ الباطل واذلت بروقه اعناق الفراعنة واغمد في جماجم الجبابرة .

(٦٨) ترك الاقتحام في ظلمة المظالم دليل على سلامة العقل الرشيد .

(٦٩) بطولة البطولات هي التغلب على هوى النفس والخوف بشتى أنواعه وتلك بطولة اهل اليقين .

(٧٠) من لؤم اصله وخبث عنصره لم يرفعه نسبه ، ومن زانه تاج علمه لم تشنه ضعة حسبه .

(٧١) المرأة هي سيدة الرجل في الحقيقة من مهده الى لحده ، وان تظاهر بقيموميته عليها او اشبعت هي غروره فتخاطبه بالسيد لحاجة في نفسها وذلك لانها اما ان تكون أماً فتقوم بحنان الامومة في حمله جنينا وبتربيته طفلا واما ان تكون اختاً فتتولى حاجاته واما ان تكون زوجا له فتنهض بأعباء الزوجية ومهمات النسل ، ثم هي ترحمه عند شيخوخته وضعفه عندما يرجع طفلا كبيرا حتى يجاور ربه سبحانه وتعالى .

(٧٢) ما اقوى الروابط الزوجية التي احكم عراها الحب الطاهر والتجاوب الروحي وصدق الوفاء ولا تتم السعادة الزوجية في الحياة الا على هذه الدعائم (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) و (انتم لباس لهن وهن لباس لكم) صدق الله العظيم •

(٧٣) جنة الدنيا وجحيمها المرأة ، فزوج الصالحة في نعيم وزوج الطالحة في جحيم •

(٧٤) كلما ارتقت المرأة في سلم المعرفة وتحلت بجمال الفضائل تقدم المجتمع وشاعت الفضيلة بين أفراده وزكت اخلاق نابتة آلامه وكم لمعت في سماء العروبة من نجوم الفضليات زاهرة بنور العلم والادب وكم من مربية عربية وفقيهة محدثة مسلمة قد خلدت بغررها ومآثرها وانشغلت الرواة بمحاسن فضائلها وغرائب نوادرها •

(٧٥) كم من مسعر حروب قد جبنته غيداء خلوب •

(٧٦) قد تنهار قوى القلوب وتذوب امام رائعة الجمال اللعوب ، فسبحان من ابدع مفاتن الجمال وروائع السحر الحلال في ربات الحجال •

(٧٧) كم من بطل مشيح وقاح ، صرعته صفاح اللحاظ وسهام الملاح ، فقضى شهيدا في ظل الوشاح ، دون الصوارم والرماح •

(٧٨) الانبهار بسحر الجمال ، وهزة الروح ببدائع اثاره برهان ساطع على سلامة النفس وطهارة القلب ، وصدق الاحساس ، ولطافة الذوق السليم •

(٧٩) نفح عنبر النهدين الذي دونه فتيت المسك الاذفر وعبق روضة الربوتين ، وأرج عطور الحلمتين يصرع سكره انفاس المحبين الوالهين فسبحان من انبت زهر الجلنار في مرمر الصدور •

(٨٠) ما اطيب السمر مع الحبيبة في ظلال القمر ، وانه احلى من الشهد رشف حلمة النهد الظاميء النافر ، وما أنعش نشوة الامتصاص من البراعم البكر من تين صدور الحور ، تحت ظل العنق العاجي الزاهر بلآليء النحور ، مع ضم المآزر على العفاف والطهر ، في مضاجع التقوى والاباء والكرامة ، وذاك شعار النبلاء الاحرار وهم أقل من القليل واندر من النادر •

هذه بعض النفحات الفكرية التي حملها نسيم الرحمة الالهية فانتعشت نفسي ومشاعري اقدمها مع مزيد الخجل والحياء الى الاستاذ أحمد حامد الشربتي حفظه الله ووفقه لكل خير في دنياه وآخرته (وارجو له التوفيق لاداء امانة توفيق) •

استدراك

(٨١) خاطرة ـ يستعبد البيان الساحر ما لا يستعبده رب الصولجان القاهر •

(٨٢) قد تختلط معاني المكارم والجرائم في مفهوم الشعب الجاهل ومنطق ذوي العقول الضيقة •

ملاحظة ولفت نظر ـ أود لفت نظركم الثاقب السديد الى الخواطر اشار اليها بعلامة (+) فهي ذات دلالات تحتاج الى شرح وتفصيل لا يتسع لها الظرف ولا تسمح به هذه الفترة التي نعيشها وقد اكتفيت بالرمز والاشارة دون التصريح والتوضيح وقد يجيء التلميح أقوى من التصريح الفصيح لمن يتدبر القول وقلبه شهيد •

(٨٣) خاطرة ـ تستحيل المساواة بين أصحاب المواهب المختلفة والقدرات النادرة غير ان المساواة مطلوبة في تمكين هؤلاء جميعا من الحصول على حقوقهم وتيسير السبل لتكافيء الفرص للجاهل والمتعلم والعالم على السواء •

(٨٤) الشيء الوحيد الذي يتساوى فيه العالم والجاهل والاغبياء والاذكياء والفهماء والبلداء هو (الامل) القاسم المشترك بين هؤلاء جميعا والا لضاقت الحياة بهم ذرعا ولما تقدمت البشرية الى مجالات الفضاء ومدارات الافلاك فسبحان من خلق الاكوان ووضع الميزان .

تأكيد جديد ـ ان هذه الذكريات والتأملات والخواطر المتواضعة حررتها على طلب الاستاذ الكريم السيد أحمد حامد الشربتي ولم تكن مسطورة من قبل وهذه النسخة هي الوحيدة التي قدمتها لحضرته ولم احتفظ بنسخة أخرى وارجو ان تكون لديه في خرز حريز .

* * * *

الفصل الثالث

حفل التأبين

كان قد تنادى نفر من خلّص أصحاب الأستاذ توفيق الفكيكي الى اقامة حفل تأبيني ، واتفقوا على أن يكون بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته .

فتألفت لجنة من الأساتذة الأفاضل :

١ ـ المحامي خالد الدرة
٢ ـ السيد جمال الدين الالوسي
٣ ـ الشيخ علي الصغير
٤ ـ السيد محمد صادق الصدر
٥ ـ السيد عبدالله الجبوري .

وقد اتصلت اللجنة بعدد من الأدباء في بغداد والنجف وغيرهما ، تدعوهم للمشاركة في هذا الحفل التأبيني ، وقد اجاب من اجاب ، واعتذر من اعتذر .

وما كادت الساعة السادسة من مساء يوم الجمعة الموافق ١٢/٩/١٩٦٩ تقترب من النهاية ، حتى غصّت قاعة الخلد في كرادة مريم ، من كرخ بغداد ، بالسادة المدعوين ، الذين توافدوا اليها من بغداد ، والديوانية ، والبصرة ، والنجف ، والحلة ، والسماوة ، وسامراء . وغيرها ، ثم ابتدأ الحفل بتلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم ، وبعدها ألقى الخطباء والشعراء ما أعدوه من نثر ونظيم في هذه المناسبة وكان عريف الحفل السيد عبدالله الجبوري ..

ونحن ننشر ـ هنا ـ كل ما ألقي في الحفل ، حسب تسلسله في منهاج الحفل ..

منهج الاحتفال

القرآن الكريم

١ ـ كلمة الافتتاح سماحة العلامة الشيخ علي الصغير

٢ ـ كلمـــة الشيخ الحجة آغا بزرك الطهراني

٣ ـ قصيدة الشاعر الكبير الاستاذ حافظ جميل

٤ ـ كلمـــة سماحة العلامة السيد محمد صادق الصدر

٥ ـ قصيدة الاستاذ الشاعر راضي مهدي السعيد

٦ ـ كلمـــة الصحفي الكبير الاستاذ خالد الدرة

٧ ـ قصيدة فضيلة الاستاذ الشاعر الشيخ حسين الصغير

٨ ـ كلمـــة الاستاذ الجليل محمدعلي البلاغي صاحب مجلة الاعتدال المحتجبة

٩ ـ قصيدة الاستاذ الشاعر خالد الشواف

١٠ـ قصيدة الاستاذ الشاعر عبدالصاحب شكر

١١ـ كلمة الختام ألقاها الدكتور اديب الفكيكي عن اسرة الفقيد .

افتتاحية عريف الحفل

بسم الله الرحمن الرحيم

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم مَنْ ينتظر ، وما بدلّوا تبديلا • » صدق الله العظيم •
ايها السادة الافاضل :

سلام مبارك من عند الله عليكم ،

وبعد : مضى السلف الصالح في تمجيد الأفذاذ من أبناء الأمة ، وتخليد مآثرهم الحميدة ، ليُهتَدى بهم ، ولتقتبس الأجيال من أشعة نورهم •

وانطلاقاً من هذه المعاني ، تقيم اللجنة التأبينية للمرحوم الأستاذ نوفيق الفكيكي هذا الحفل المبارك ، عسى ان يكون تذكرة حافزة لنابتة الأمة المجاهدة ، في اعلاء شأن أعلامها المجاهدين •

وخير ما نفتتح به حفلنا هذا ـ متبركين ـ آيات من الذكر المجد ، يرتلها علينا المقرىء السيد عادل يوسف العادلي •• وبعد انتهاء التلاوة ، جرى الحفل على منهاجه •

بسم الله الرحمن الرحيم

للشيخ علي الصغير

اذا كانت الاحتفالات تقام من اجل تكريم شخصية علمية أو ادبية وتعداد مآثره وصفاته العالية التي يتصف بها الشخص المحتفى به أو ذكرى تأبينه من اجل فقدان عزيز على لجنة التأبين .

فان فقيدنا المرحوم المغفور له الاستاذ السيد توفيق الفكيكي غني عن التعريف وتعداد مآثره فأن اثاره التي خلفها السياسية منها ككتابه الراعي والرعية وادبه الجم في مؤلفاته القيمة التي عرفه المجتمع الأدبي من خلالها امثال كتابه القيم (أدب النخيل) وغيره كل ذلك دليل على الثروة العلمية والادبية التي يتحلى بها فقيدنا الغالي رحمه الله .

فقد كان مسلماً صادقا وقد كان مواطنا صالحا يحب الخير لأمته ويعمل من أجل رفع راية العروبة والاسلام ولقد جمع بين السياسة والقانون والفقه والفضيلة والادب والاجتماع وكان المثل الاعلى في ذلك واثاره تشهد بذلك .

ان اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار

ان الفقيد كما عرفه الناس وعرفته يتمتع بالاخلاق الفاضلة وكانت روحه الطيبة تحب الخير حتى لاعدائه ان كان عدو هناك .

وكان بعيداً عن الشر فلا يرضى لنفسه ولا لأسرته ومجتمعه اثار الشرور والانتقام .

عرفته مثلاً صالحاً للعدل والنزاهة في القضاء أثناء مكوثه في النجف الأشرف بصفته حاكما فيه وصحبته عضوا في جمعية الرابطة الأدبية اذ كان من اعضائها الادباء اللامعين وعرفته حلقات الدروس الدينية طالبا دينيا يحب العلم للعلم والفضيلة من اجل الفضيلة فقد كان يحضر الدروس العالية على العلماء المجتهدين وقد كان قبل تعيينه حاكما محاميا يتجنب ما فيه وخز

الضمير وغضب الله ورسوله وما فيه ظلامة للناس ولقد توكل هو والمغفور له الشيخ أمجد الزهاوي بتكليف من الزعيم الديني السيد ابو الحسن الاصفهاني في حادثة معروفة كانت هي وامثالها من القضايا التي تدل على تمسكه بدينه وبالخلق الرفيع والتحلي بمبادىء الاسلام من اجل الاسلام وحده فلم يوافق على اخذ اجور الدعوى ولم يقبل الشيخ الزهاوي كذلك على انه كان مبلغا كبيرا فرفضاه استجابة لنداء الحق والدفاع عن الدين .

ولقد عرفه المجتمع اديبا لم يتخذه مهنة او حرفة وانما مارس الادب خدمة اجتماعية عامة .

وعرفته نائبا في عهد سابق يدافع عن الحق وعن الوطن وقرأته صحفيا يحفظ حق الصحافة عن التملق وتردي الاخلاق والكرامة ويمثل خواطر الأمة وامالها في يراعه الصادق وبيانه الذي عرف منه الناس الاستقامة .

وكان في جميع الادوار في حياته مستقيما لا يعرف الخطل في الرأي او التخلي عن العقيدة ومكارم الاخلاق .

عاشر مختلف الناس ومارس ظروف الحياة بحكمة وبعد نظر ونظر الى المجتمع نظرة درس فيها العالم والأديب والسياسي والصحفي والحاكم وغيرهم وبذلك اعطى دراسة اجتماعية كبرى في سلوكه الاجتماعي .

فاما ان احتفلنا بيوم اربعينه فانما نحتفل بذكرى ميلاده الجديد وهي حياة ملؤها النور والسعادة وفيها راحة أبدية وهو حي في قلوب عارفي فضله وعشاق ادبه وهو حي في عقيدته .

لم يمت من جاهد الظلم يداً ولسانا واعتقاداً وجنانا

قال الله سبحانه وتعالى : « يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية » .

فرحمك الله يا ابا اديب واسكنك فسيح جنانه ورضوانه وعزاءً لنا ولاسرتك الكريمة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفقيد الجليل المرحوم الفكيكي

كلمة المؤرخ الثقة الشيخ

اغابزرك الطهراني

السلام عليكم أيها الاخوان ورحمة الله وبركاته :ـ

وبعد : لقد كان لنبأ وفاة المرحوم الاستاذ الكبير العلامة توفيق الفكيكي ، ـ الذي تحتفلون بذكرى أربعينه • اثره الممض في نفسي ، ونفوس عارفي مكانته ، وفضله ، وذلك لما كان يتمتع به الفقيد الجليل من أخلاق رضية عالية ، ووفاء منقطع النظير ! هذا بالاضافة الى سعة اطلاعه وتضلعه في مختلف شؤون المعرفة ، فلقد خدم الفضل والادب والتاريخ والقانون خدمات جلى ، بما ألّفه من كتب جليلة ، ونشره من ابحاث ومقالات خدمت الحقيقة وأنارت السبل ، وأعلت راية الاسلام ، فجزاه الله خير الجزاء ، وجمعه مع نبيه الكريم صلوات الله عليه ، وآل بيته الاطهار سلام الله عليهم •

أيها الاخوان :ـ

اليكم خلاصة لما سجلته عن المرحوم في المجلد الاول من كتابي (طبقات أعلام الشيعة) المطبوع في سنة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ، فيما يتعلق بنسبه وأدوار دراسته ، والاشارة الى آثاره التي طبعت وانتشرت ، وتكرر طبع أكثرها مراراً ، سائلين المولى جلت قدرته أن يرحمه ويرحمنا ويشمله ويشملنا بألطافه ، انه سميع مجيب •

المرحوم توفيق بن علي بن ناصر بن محمد سعيد بن عبدالحسين بن

عباس بن كريط الفكيكي[1] ينتهي نسبه الى بني شيبان بن بكر بن وائل ابن تغلب من ربيعة الفرس عالم باحث وكاتب ضليع ومصنف خبير .

نزح آباءه من أطراف لواء الكوت فنزلوا في (الوردية) من لواء الحلة ثم نزح عبدالحسين الجد الثالث للمترجم فهبط في محلة الفلاحات من جانب كرخ بغداد وذلك منذ مئتي سنة واشتهرت هذه الاسرة بين أسر بغداد ببيت محمد سعيد الفكيكي الجد الثاني للمترجم وكان هذا البيت معروفا بالثراء والغنى والسماحة والسخاء وكانت مهنتهم التجارة والزراعة ولم يمارس أحد منهم أعمال الحكومة الا المترجم ولا يزال أعمامه في الحلة بالوردية والجمجمية يمارسون الفلاحة وقد سكن بعضهم السماوة وفي باديتها تل يعرف (بتل الفكيكي) أشير اليه في الخارطة الرسمية . ولد المترجم في جانب الكرخ ببغداد (١٣٢١) وأتم دروسه الابتدائية في المدرسة البارودية في العهد العثماني ثم دخل المدرسة الرشدية الملكية حتى احتلال بغداد ثم دخل دار المعلمين الابتدائية فمارس مهنة التعليم مدة ثم استقال ودخل كلية الحقوق وبعد خروجه منها مارس المحاماة لكنه لم ينقطع عن المطالعة والدرس فواصل دراسة علم أصول الفقه أثناء وجوده في سامراء لممارسة القضاء ودرس علم المعاني والبيان فأتم أصول الفقه والكلام وكان مرجعه الوحيد في حل المشاكل الفقهية الحجة الاكبر المرحوم الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء وقد أنجز في حياته عدة تآليف هامة جليلة طبع عشرة منها ولا يزال الباقي مخطوطا فمن الاول سفره (الراعي والرعية) شرح فيه عهد أمير المؤمنين عليه السلام الى عامله مالك الاشر حين ولاه مصر قارن فيه بين القوانين الحديثة وبين قواعد الحكم في الاسلام وهو كتاب فريد يقع في جزئين قرظه جمع من الاعلام والادباء وكتبت عنه في حين صدوره أكثر المجلات والجرائد العربية في الاقطار وكتاب (المتعة) في الفقه وهو أول كتاب في الفقه على الطريقة العلمية الحديثة طبع في النجف وقدم له الاوامر المبرور الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

وقرظه أيضا العلامة الجليل الشيخ هادي آل كاشف الغطاء وكتاب (سكينة بنت الحسين) طبع مرتين في شهر واحد و (مقالات في الحجاب والسفور) ورسالة في سياسة الامام الصادق ومن المخطوط (هشام بن الحكم) تناول فيه تنزيه عقيدة هشام تلميذ الامام الصادق -ع- و (دراسات في الفقه والقانون المقارن) و (القومية الاسلامية) أو جنسية القرآن وغيرها ذكرنا الجميع في (الذريعة) كلا في بابه وله عشرات المقالات والابحاث نشرت في مجلات وجرائد العراق وسوريا ولبنان وكلها تدل على طول باعه في كل بحث يتناوله وقد أصدر جريدة (النظام) في (١٩٢٧م) وعطلت سريعا وفي (١٩٤٨م) أصدر جريدة (الرعد) بمناسبة الحرب الفلسطينية وقد عطلتها السلطة العسكرية وفي (١٩٥٢م) قام برآسة تحرير جريدة « القبس » وبالجملة فالمترجم في طليعة المفكرين الذين خدموا النهضة العلمية والادبية في العراق وقد ضرب في الحركات الوطنية والسياسة بسهم وافر وقد انتخب عضوا في مجلس الامة .

فرحم الله الفقيد ، وأمطره بشآبيب رحمته ورضوانه وانا لله وانا اليه راجعون .

---

(١) نشرنا أصل هذه الكلمة في الصفحة : ١٢ من هذا الكتاب .

أبا أديب

للشاعر الاستاذ حافظ جميل

سأظل أجهش بالنحيب أبكي الاديب أبا أديب

أبكي خصالا ما نفحن على المدى غير الطيوب
أبكي الجواد الاريحي خلا من الند الغريب
شهم يجوع ولا يرد سؤال محتاج حريب

لم يدخر في يومه ما عنده لغد قريب
فكأنه يجد الغنى شر الخطايا والذنوب

يعطي ويخشى ان يرى غير المروءة من رقيب
يا ذروة الخلق الرفيع وواحة الفكر الخصيب
لم تشكو ليلا من سهاد أو نهارا من لغوب

الا مـذاب حشـائة مرهـونة بيـد المذيب
تأبى مجـابهة الحيـاة بمـا ينـم عـن الهـروب
وترى السـعادة كلهـا في همـة الشيخ الدؤوب
سبعون لم تشـهد أواخرهـا سـوى جلـد عجيب
سـبعون لا سـمة العيـاء بهـا ولا أثر الشـحوب
سـبعون ما زادتك غـير نبـاهة الفطـن اللبيـب
ما كـان داؤك من هزال الجسـم او وهن المشـيب
الـداء يسـلك ان سـعى للمـرء مختلف الدروب
يعيـا بـه عـزم الاسـود عـلى مواصـلة الوثوب
لله قلبـك كـم تمنـاه الحليـم مـن القلـوب
مـا غاضـه الا اللجـوء الى مغاضـبة الغضـوب
يكفيـك وادع طبعـه حتى مع الموت الرهيب
آمنـت ما أتسـع القضـاء الرحب كالصدر الرحيب
او نم عـن خلـق النجيب سـوى محـادثة النجيب
ان قلت قلـب المـرء في شـفتيه لم أك بالكـذوب
لم الق أصـبر منـك يا توفيـق في الامـر العصيب
مـرح وداؤك معضـل طلق وشمسك في مغيب
ما فارقت شـفتيك بسـمتك العريضـة للخطـوب
فكـأن نفسـك تكفهـر لمنظـر الوجـه الكئيـب
أبـداً تحـاذر ان ترى قسمات وجهـك في قطـوب
لـم تخف عني يـوم عـدتك هـزة الثمـل الطـروب
حتى لخلت الـداء بي والراقـد المضـنى طبيـبي

بادلتني حلـو الحـديث وأنت في حـال مـريب
ورفعـت رأسك قـائلا بالله يا نفسي أنهضي بي
بالله يا أذنـي أسـمعي بالله يا روحـي اجيبي
ولطالمـا شـنفت سـمعك بالرقيـق من النسـيب
فمسـكت بالقلـم الرشـيق وقلت لي هـذا حبيبي
يا راحـلا قبلـي ويومي عنـد عـلاّم الغيـوب
خـل الترحم مـن نصيبك والتألم مـن نصـيبي
ما مـر يوم جـف دمعـي فيـه من خـد رطيب
أو غصّ قلـب مثـل قلبـي بالجـراح وبالنـدوب
أرايت في الدنيـا سـوى الاكفـان من ثوب قشـيب
أو مركبـا كالنعش لا يبـلى عـلى مـر الركوب
أو مضجعـا كالقبـر سـاوى بين اطفال وشـيب
هـذا تراث أبيـك ننقـله الى عقـب العقيـب

* * * *

ضيف الغري

لسماحة السيد محمد صادق الصدر

ابا « الاديب » :

اناديك الآن وأنت في « الوادي » المقدس من أرض الغري في جوار ابي الائمة « الوصي » عليه السلام .

في هذا المكان المطهر المعطر الذي رقدت فيه ملايين من البشر معفرة

بذلك المسك المذاب من تراب الامام « ابي تراب » .

وان ارواحها لترفرف هائمة معلنة ولاءها الناطق امام الله وامام الناس كافة فتشهد الدنيا بهذا الولاء ، وتحتفل الاخرى لهذا الوفاء .

ان هذه النفوس التواقة من مختلف الاجناس ، وشتى طبقات الناس لتفد على ابي « الحسين » من سائر أقطار الارض متقربة بحبه ، متمسكة بحبلـــه .

ولو كشف لنا الغطاء ، وقدر لنا أن نسمع تلك الاصوات المدوية في الفضاء لسمعنا صدى تلك الحناجر يردد نشيد الولاء المؤثر المتمثل بقـول الشاعر :

وفدت على الكريم بغير زاد من الحسنات والقلب السليم
فحمل الزاد اقبح كل شيء اذا كان الوفود على الكريم

اما أنت يا أبا الاديب فقد وفدت على امامك وكان زادك روحياً ، فيه قبس من أنوار « النبـوة » ، وعطر من شذى « الامامـة » انه كتابك القيم « الراعي والرعية » الذي شرحت به عهد الامـام الى مالك الاشتر صفيه ووالية على مصر .

انك ترفعه اليه اليوم كما قدمته بالامس ، راجياً بذلك أن تسعـد بالرضا والقبول ، وهو غاية ما تأمله لاخرتك من عمل مبرور مشكور .

وكم الامة العربية بحاجة ماسة في ظرفها الحاضر الى فهم هذا (العهد العلوي) ودرس مراميه ، والسير على ضوئه سواء كان في الامور الشرعية ، او الحقوقية ، أو العسكرية .

ويكفي دليـلا على عظمته انـه صار عن امـام خبر الحرب ، وعرك الايام ، وكان من مصادر التشريع منذ انبثق نور الاسلام .

أجل لقد تكفل « العهد » ببيان الامور التي يجدر بالوالي على الامة أن يلحظها ، وجاءت كل فقرة منه كمادة من مواد الدستور ، وكقاعدة كلية عامة يجب تطبيقها في كل عصر .

ولقد اوضح سلام الله عليه ما يجب على الامة في شؤون القضاء ، والادارة ، والجيش هذا « الثالوث » الذي يلزم تركيزه في كل شعب له مجده وحضارته .

ولئن رفضنا التثليث في « التوحيد » فان هذا الثالوث الاجتماعي المحتوي على عدالة القضاء ، وحزم الارادة ، وبسالة الجيش تحت قيادة محنكة لثالوث محبب الى النفوس ، وفرض اجتماعي لابد من تحققه في كل أمة حية ، وفي كل شعب له مجده وسيادته .

ان العدالة اذا سادت المجتمع ، وتوفرت الادارة الحازمة التي تديرها اكف امينة مخلصة ، وانضوى الجيش تحت قيادة قائد محنك كانت الامة مع السلامة في خير ، والشعب في امن ورفاه ومنعة ، يسير مع تاريخه الناصع مرفوع الرأس بين الامم والشعوب .

واني اشهد ـ للحق وللتاريخ ـ بان الراحل الكريم قد بذل قصارى جهده في ايضاح ما تضمنه « العهد » من أهداف حكيمة وآراء صائبة في كل ما يعود على الامة والمجتمع بالفائدة والخير ، والسعادة الدائمة .

ولقد وفق الراحل رحمه الله في كل ما أراد ايضاحه من مقارنات حديثة لكل ما قد سبق « العهد » اليه من تلميح أو تصريح .

وقد عرض في مقارناته الى شخصية الحكام ، وكيف يجب أن تكون ؟؟ والى تشريع استقلال المحاكم ، واختلاف الحكام ، وأورد رحمه الله كلام الامام في اختلاف هؤلاء في الاحكام ، وفي كلامه سلام الله عليه تقريع لهم ، وتعريض بمن يقوم بتصديق جميع أحكامهم مع تضاربها ، ووحدة موضوعها .

في حين ان مقتضى الاصول الشرعية تصديق حكم واحد وهو الذي وافق الشرع ، ونقض الاحكام الاخرى التي خالفت القواعد والاصول كما هو واضح لكل من ولي القضاء .

ولعل الامام كان أول من تعرض للنقض والابرام في الاسلام ، وليس هذا بالغريب فقد قال النبي (ص) مخاطبا أصحابه : « أقضاكم علي » .

وقد تعرض الفقيد رحمه الله بعد ذلك الى انتقاء الموظفين الاداريين ، والى الموظفين الاداريين والثقافة الحقوقية .

والى الادارة الكاملة في عهد الامام ، وفي القانون الاداري الحديث .
والى بيان طبقات الهيئة الاجتماعية ، وخصائص طبقات المجتمع .

والى القيادة العسكرية العليا ، والى معرفة الله وتأثير مخافته في التربية العسكرية ، والى الحرب والصلح ، والى المعاهدات في الاسلام ، والى العهود الدولية والغدر بها في العصر الحاضر ، والى طريقة انتخاب الموظفين وفصلهم ، والى عقد المعاهدات وواجب السلطة التنفيذية ، والى مبدأ انفصال السلطات ، والى بيان بطانة السوء ، والى عوامل الثقة الاجتماعية بين الراعي والرعية ، وبيان سيادة الامة وسلطان الرأي العام ، ونظرية العهد في الدساتير القديمة والحديثة ، وبيان ان خزينة الدولة جيوب رعاياها ، وبيان المقارنة العلمية بين قواعد علم المال الحديث وكلامه عليه السلام . واثر التجار والصناع في حياة الامة الاقتصادية .

وبيان مكانة نظرته (العهد) العلوي من أصول التشريع المالي ، وبيان الاقتصاد الجديد ، وبيان الاحتكار المحرم ومضرته العامة للامة .

ونظرية (العهد العلوي) ونظام الاحسان العام في العصر الحاضر وبيان الضمان الاجتماعي القومي في التشريعات الحديثة ، وبيان أن انصاف طبقة العمال خير وقاية للمجتمع من المهالك الاجتماعية ، وبيان علاج الفقر

في الشريعة الاسلامية وبيان ان القوي والضعيف في رأي الامام سواء في الحق .

وبيان استئثار خاصة الولاة وبطانتهم بأذى الرعية وبيان سفك الدماء بغير حقها يدمر المملكة ، ويزيل السلطان وبيان أدب الولاة وواجب الاقتداء بسن الحكومات العادلة .

وانك لتعرف من هذه المقارنات التي اوردها الفقيد مدى العمق في الفكر القانوني الذي يتجلى في أفكار الامام القضائية المفرغة في (عهده) الاغر .

وقد اثر عنه سلام الله عليه كثير من الاحكام ، والاقضية ، والفتاوى التي كانت ـ ولا تزال الى اليوم ـ مثلا يحتذى في القضاء وحل الخصومات ، وقد الفت في ذلك الكتب الضخام .

وكان (العهد) بصورة خاصة منذ السابق محل عناية العلماء والباحثين ولكنه لم يشرح الشرح الملائم لروح العصر قبل هذا الشرح الذي قام باعبائه الراحل الكريم فكان له خير اثر دل على فضله وأدبه ، وغزارة مادته ، واشراق ديباجته ، واطلاعه الواسع ، ولو لم يكن له سواه لكفاه فخرا وذخرا .

وقد نهض بتأليفه بعد تضلعه بالقانون ، وخبرته بالاحكام ، ومعرفته بصنوف القضاء .

وقد ظهر اثر هذا « العهد » على سيرته واحكامه ، وتصرفه أيام قضائه فكانت صحيفته بيضاء ، وكان طوال عهده مثال القاضي الفاضل ، والحاكم العادل .

ولو استمر في القضاء الذي خلق له لكان له المنصب المرموق الذي يليق به ، ويتفق مع جهوده وجهاده .

ولكنه استعجل الايام ومضى نحو السياسة وهي لا تعيه وتضيق بامثاله وكان لسان حاله ما قاله شاعر مصر :

لا تلم كفي اذا السيف نبا ... صح مني العزم والدهر ابى
رب ساع مبصر في سعيه ... اخطأ التوفيق فيما طلبا

مرحباً بالخطب يبلوني اذا ... كانت العلياء فيه السببا
عقني الدهر ولولا انني ... اوثر الحسنى عققت الادبا

وحاشا الراحل الكريم أن يعق الادب وهو الاديب وأبو الاديب ، وقد كانت صفة الادب ملازمة له ملازمة الظل ، فهو أديب في كل مراحل حياته .

أديب يوم كان محاميا ، ويوم كان حاكما ، ويوم كان صحافيا ، ويوم كان نائبا ، وقد زادته صفة المحاماة ووصفة الحاكمية قوة على قوته ، وحجة مصافة الى حجته ، فكان محاميا متبرعا عن قومه لا يحتاج في دفاعه عنهم الى توكيل فان ضميره الحي يدفعه الى ان يقول الحق ، ويجهر به كلما دعاه الحق الى ذلك .

وهو نائب طبيعي يدافع ويناضل عن الامة في الصحف والمجلات والكتب فاذا ضاق المجال أمامه تحت قبة (البرلمان) فانه ليتسع أمامه في غير هذا الميدان ، لا يعوزه دليل ، ولا ينقصه برهان .

وهذا ما دعاه أن يؤلف رسائله الدفاعية القيمة وهي : سكينة بنت الامام الحسين عليه السلام ، وسياسة الامام الصادق عليه السلام وحماية الحيوان في شريعة القرآن ، وكتاب (المتعه) ، ودفاع عن الشعراء ، وتنزيه القرآن عن الشعر ، وتبصير البصير بأمير الشعراء ، وحق الثورة على الطغاة وتعليقات فقهية وقانونية الى غير ذلك من بحوث حررها قلمه البليغ ، وأوحتها فكرته النيرة .

وآخر ما صدر عن قلمه رسالة وردتني منه في ١٩٦٩/٦/١١ قبل ان

يفارق الحياة بأربعين يوما ، وكانت نفسه الطيبة المدافعة عن الحق تتجلى في كل فقرة منها ، ولولا انها تخص اثراً من اثاري لاتيت بشواهد من هذه الرسالة التي تنم عن ميوله ودوافعه النفسية .

رحمه الله فقد دافع طوال حياته عن السنة والكتاب كما لو كان امام مسجد ومحراب مؤثراً الحق في كل ما كتب وحرر في هذا السبيل .

وقد شاء أن يشير الى رأيه الخاص في عقيدته وميوله في آخر ترجمة الامام الذي حررها في مقدمة (الراعي والرعية) فقال : « اما هواي في ابي تراب عليه السلام فكما قال الكميت رحمه الله :

وقالوا ترابي هواه ودينه بذلك ادعى بينهم والقب

فلك البشرى يا أبا « الاديب » في هذه « النسبة » وهنيئا لك يا أبا « هاني » بهذه « التربة » الى جنب الامام ابي تراب عليه السلام .

ولنا بابنائك الزهر ، وآثارك الغر أحسن سلوة وعزاء .

مشهد من الحفل

« أبا الاديب »

للأستاذ الشاعر راضي مهدي السعيد

تعبت ـ والخطى تحس اغتـــرابا ... ها هنـا أعـين ترى الارض غـابا
والليالي مسـاربا من ظـــلام ... غيهبي الرؤى يـذل الرقـــابا

ودروب الزمان مسرى انطفاء ... تتهاوى بـه النفوس انكبـــابا
تعبت ـ والدجى يلف خطاها ... فأحتمت بالتراب تبغـي المـآبا

وتروم البقـــاء في ظـل واد ... ما بـه أذرع تمـــد احترابا
وأكف بهـــا دمـــاء عروق ... فصدتها البلوى تجوع احتلابا

تعبت بعدما أقـــامت عهـــودا ... وتمشت في الارض تندى اهابا
وتغنت بالصبح فأنهـــل منهـــا ... مبسم وأنتشى فؤاد تصـــابى

فاذا كل مـا حـلا كان مراً ... واذا العمر كان طيفا فغـــابا

* * *

ما أرتنا الا الضنى والعذابا فأغتصبنا بها الهناء اغتصابا
وأرتشفنا بها المسرات لكن قدر الغيث اذ يشح انسكابا

ونعمنا بالمبهجات قليلا اذ وجدنا بها النعيم سرابا
وشهدنا واحاتها قاع طين ينبت الشوك والظما والييابا

فنزفنا بها جراحا وعشنا أضلعاً تشرب الدموع التهابا
وقلوباً طعينة الشوق فيها للأسى أنهرٌ تفيض انصبابا

وعيوناً ألقى السهاد عليها من دجى الهم والعنا جلبابا
هكذا شابت النفوس فراحت تتمنى الرحيل والدهر شابا

ليت هذا الكون المشع ضياء لا ترى صبحه العيون ضبابا

* * * *

زرعتنا دماً . فكنا ترابا هذه الارض حين ضاقت رحابا
وأذلت جباهنا حين لذنا بالاماني التي ترود السحابا

وتشق المدى دروبا لتبنى عالما لا يضيق سورا وبابا
وتمد الحياة دون انطفاء بسنى لا يلون الشهد صابا

يا ظلال الايام . يا صوت دنياً نحن نطوى في دفتيها كتابا
ونذرى على خطاها رمادا تأكل الريح جمره أهدابا

أي شوق بنا تفجر نبعا من ضياء يسقى الوجود شبابا
ويحيل الدنيا حقول نعيم وعيونا من فرحة لن تشابا

ها هنا نحن أحرف ظامئات ضمها عالم يعرى استلابا
وصدى ماله انتهاء يغني حلم الشمس والنجوم انسيابا

ضاعت الارض . فالظلام نشيد والسنى دمعة تنام اكتآبا
أبدا يولد الشقاء ويمشي الموت في سوحنا فنبكي انتحابا

عرســـنا ليلـة ولكـــن أسانا ... لقيم في أرضنـــا أحقـــابا

* * * *

يا (أبا هانيء) وما كنت عبئا ... في الليالي ولا صدى مستـرابا
كي تمل الحياة وهي طريق ... قد سمت غاية وجلت طـلابا

أو تعاف الدنيا فراراً لتبقى ... أنفس فوقهـــا استحالت ذئابا
أنفس مالها على الارض عهـد ... صين وجها حرا وزين نقـــابا

أنفس دنست محارم (قدسي) ... يوم داست أقدامها المحـــرابا
وأستباحت أرضي التي من ثراها ... شع فجر الايمان صوتا مهابا

وتعـالى عـــلى الزمـــان نداء ... لم يزل يغمر الربى والهضابا
ويضيىء المـآذن الخضر نورا ... ويوشي بـــه الضحى والقبـابا

يا (أبا هـانيء) وليتـك تدري ... أن (قدسي) قد هدمت أعتابا
وبأركان (مسجدي) شبت النـــار . فأين (الاقصى) . أهان ترابا ؟

عمق الجرح . يا شفاه فموتي ... أوفكوني لظى تزيد ارتعـــابا
فترى الانبيـاء أضحى مقيـــلا ... لحشود حلت بـــه أغـــرابا

أعقاب هذا الذي حل فينـا ؟ ... ليتنا . ليتنا عرفنـــا العقابا !

* * * *

يا (أبا هانيء) وما كنت عينـا ... تتغـاضى ولا لســـانا مـــذابا
كي تغذ الخطى لتسكن لحـداً ... مظلما لا ترى به أتعـــابا

أو ترى فيه عالما ســاء طيناً ... ونفوســـا تدنســـت أثوابـــا
ألف حاشاك . أنت كنت يراعا ... لا يهاب البلوى ويخشى الصعابا

أو يخاف المسرى اذا جد خطب ... وأدلهمت دنيا بها الشر شـابا

غير أن القضاء أقوى وأمضى ... من مراد النفوس حداً ونابا
ويد الموت لن تشابك كفاً ... في الليالي ولن تدانى اقترابا

كنت حقاً فماً مشعاً وفكراً ... ألمعياً يسمو هدى وصوابا
تلك أسفارك المضيئة تنبي ... عن أب مرشد لجيل تغابى

ولدهر مكابر ظن جهلا ... أن هذي الدنيا صدى لن يجابا
ان رأيت النكران في الارض عقبى ... فبظل السما ستلقى الثوابا

* * * *

أين تلقي بنا يد الموت مرمى ... نحن من في الحياة تهنا ركابا
ودرجنا على طريق الليالي ... والليالي بنا تطول شعابا

أتموت الشفاه من غير لحن ... شربته جراحها أكوابا ؟
أم سيبقى لها على الارض نبع ... أبدي المسرى يطيب شرابا

بعد الدرب • فالخلود محال ... فوق أرض غداً تصير خرابا
وغداً جمرها يؤول رماداً ... وأغاريدها ستغدو نعابا

والى عالم بعيد ستأوي ... كل أرواحنا لتلقى الحسابا
يا (أبا هانيء) وكنت ترينا ... أن أعمارنا وهت أسبابا

وأماني نفوسنا فانيات ... ولو أنا نمشي اليها انجذابا
يا (أبا هانيء) سبقت خطانا ... وتعجلت اذ ركبت العبابا

ما الذي ضر لو أطلت مكوثاً ... بيننا • والقريب يدني الصحابا
كنت تشكو من أمر هذي الليالي ... حين زادت بها النفوس ارتيابا

ورمت باليقين وهو مصب ... من ضياء فهومت أسرابا
فوق كل الرمال تنشد نبعاً ... أي نبع في الرمل يطغي اللهابا

* * * *

قـدر ماله على الارض يابن الارض من غالب اذا هـو نابـا
فلتبـاركه ولتعانقـه شـوقاً كم فم بارك الضياء فطابا ؟

ان في عـالم السماء خلوداً لا فنـاء ولا دجى وانتهـابا
يابن هذا الثرى وما أنت الا فحمـة تلتظي فتغدو شهـابا

كن سمير الضحى لتشهد شمساً ألقت الهم عنـك والأوصابا
ليس كل العيون في الارض تحيا فرحة النور واللحون العـذابا

يأنس الطـير بالظلال ويأبى أن يرى للدجى عليه حجـابا

مشهد آخر من وجوه الحفل

لمحات من حياة الفكيكي من خلال مكتبتـــه

للأستاذ خالد الدرّة المحامي

سادتي الأفاضل :

للفقيد المرحوم الفكيكي جوانب كثيرة ، في حياته وفي آثاره ، وسأقتصر في كلمتي هذه على جانب صغير من حياته الثقافية ، وهو جانب الكتب والمكتبة ، ولعل فيه شيئاً طريفاً يضاف الى معالم حياته .. وتركت بعض المناحي الاخرى من حياته الى اخوانه الخطباء والشعراء .. وعلى الرغم من عمق معرفتي به ، ومدى اتصالي البعيد ،

كان أبو أديب ولعاً جدا باقتناء الكتب ، وبذل في سبيلها كل علق ونفيس ، حتى تجمعت لديه مكتبة عامرة بنوادر الآثار في شتى ضروب المعارف والفنون والآداب ، قديمة وحديثة . وكانت كتبها تضايق سكان بيته ، فهي تلاحقهم في كل مكان يمكن ان تستقر فيه .

وكانت هذه المكتبة ، تحل معه اينما حل ، وترحل معه اينما رحل ، حيث جابت أكثر البلدان العراقية ، وكان الفقيد ينزل الكتب ـ منزلة الولد العزيز ـ بل أعز وأغلى .. وهو بالرغم من هذا الاعتزاز بها ، كان ـ رحمه الله ـ لا يضنّ بشيء منها لطالب علم ، أو طالب فائدة من البشر ، وهذه السجية نادرة عند أكثر المشتغلين في البحث والعلم والادب في أيام الناس هذه ..

أخذ الفقيد الفكيكي علوم العربية على أجلّة علماء عصره ومصره ، مثل الشيخ شكر ، والشيخ كاظم الساعدي وغيرهما . وأشرب حب المعرفة والبحث ، حتى بات الكتاب سميره ونديمه في كل مجلس أو ناد .. ولسان

حاله يردد مع المتنبي ..

وخـــير جليس في الزمان كتـــاب

وثقافة الفكيكي ، أمشاج متشعبات ، وهو في كل ذلك فارس مجلّي في ميادين البحث والادب والتاريخ والفقه ، حيث ان مكتبته كانت رافداً ثراً عميقاً لزاده الفكري ..

وكثيرا ما كانت تتعرض هذه الاعلاق الغوالي الى غزو الحاجة العمياء .. فترحل عن صاحبها الى غيره ، ولتسد جائحة الظروف عنه ، وما اكثرها .. وهو الزاهد العفّ عما يدنس الرجولة .. من أوضار المادة ..

كان للمرحوم توفيق مجلس يقيمه في داره في ضاحية الاعظمة مساء كل يوم أحد ، وكان يؤمّه أعيان البلد ومفكروه وشعراؤه وكتابه ، وكانت تثور أحيانا في هذا المنتدى الاسبوعي ، مناقشات بين القوم ، في شتى ميادين الفكر ، وكان حكمها المنصف الفقيد ، وهو القاضي العادل ، واذا اعتـور مسألة من المسائل التي احتدم النقاش من أجلها غموض ، نراه يهرع الى مكتبته ، يسألها الحكم الفصل ، وعندها فصل الخطاب ، حيث ينصاع ذو الرأي الجامح ويخضع لها الفكر العنيد المتجبر ، وكانت تسعفه في كل ذلك بديهة سريعة ، وحافظة عجيبة من استحضار النصوص والشواهد على اقامة الحجج والادلة فيما يذهب الى رأي من الآراء ... مضافاً الى ذلك لباقة جميلة وأسلوب فذ في حلّ المنازعات الثائرة ..

حضرات الأفاضل :

لعلي بهذه الكلمة المبتسرة ، قدمت شيئاً زهيدا وربما يضيف طريفاً الى معالم حياة المرحوم الصديق الوفي توفيق الفكيكي ، الذي عرفته أخاً وصديقاً نجيداً وشهماً لكل معارفه .. وأجمل العذر فيما قدمت ، لبعد الشقة وقلة الزاد ، ووهن الحول ، وسلام على توفيق في الخالدين ؟

والسلام عليكم ..

يا رائد الفكر

للشاعر الشيخ حسين الصغير

يا رائد الفكر أكدت بعدك الفكر ... وراعها ان نور الفجر يستتر
قد كنت توسعها بحثاً ومعرفة ... وتجتليها مضامينـاً وتختبر

تصوغها والبيان الطلق يبرزها ... حقائقاً بصفاء الفكر تنصهر
وتصطفيها دروساً بين أحرفها ... روح العقيدة لم يعلق بها وضر

تستلهم العقم آراءاً وفلسفة ... كالشهب فوق سماء الفكر تنتشر
نبع من الخير لم تنضب مشاربه ... عذب الموارد لم يعلق به كدر

وصفحة بصنوف المجد حافلة ... في نشرها تقرأ الايات والسور
تاريخ مجدك عنوان تقدسه ... آثارك الغر لم يطمس لها أثر

ورأيك الحر نبراس تخلده ... حرية الفكر حيث الفكر يحتكر
أكبرته ألمعياً لا يخامره ... عتق الغرور ولا تنأى به السير

★ ★ ★ ★

يا موقد العمر للتاريخ مسرجة ... بنورها تهتدي الاجيال والعصر
اجل عمرك لا زيف ولا ملق ... ولا أنغماس ولا طيش ولا بطر

أسرجته للهدى روحاً وعاطفة ... ورمته لطلاب الخير يبتدر
وصنته حاكماً عما يدنسه ... وكان همك ان العدل ينتشر

أفهمت جيلك ان الخير مزرعة ... يزكو لفارسه في ظله الثمر
كرست جهدك للعرفان تصحبه ... نور الحقيقة لا عيّ ولا حصر

وعشت للخلق العالي فلا برم ... يريب منك أحاسيساً ولا صعر
كالغيث يفترع الوادي فيخضبه ... وطالما لذ منه الورد والصدر

منحت قلبك للآداب تسعفها ... زيت الغليل فكانت للنهى صور
بدت على جبهة التاريخ ناصعة ... تلوح منها على آفاقه غرر

يا واهب النفس أسفارا منورة ... تكاد في صفحات المجد تزدهر
ألهمت ان سبيل الخلد متعبة ... للسالكين وفيه يعذب الخطر

سلكته وتجشمت السرى يقظاً ... ولم تخفك تهاويل ولا ضجر
طلعت كالبدر اشراقاً بمجتمع ... قد كان فيه ظلام الكيد يعتكر

بذلت نصحك لـ (الراعي) فأفزعه ... صوت (الرعية) يستعلي ويستعر
وكان يحسب ان الشعب مغنمة ... للآمرين وان الحكم يقتسر

وان هذا السواد الجم سائمة ... فلا خيار له فيه ولا نظر
يظن ان يد الاقدار قاصرة ... عن نيله فتجنى وهو يفتخر

قد أخطأوا فسياط البغي عاجزة ... مهما استبدت وصوت الشعب منتصر
تفنى الطغاة ويبقى كل ما اقترفت ... من المآثم تستوحي به العبر

ويشمخ العدل في دنيا يكاد به ... صوت العدالة ان تنأى به الغير
يا ساسة العرب ماذا في حقائبكم ... أبعد حرق حريم (القدس) مصطبر

من المحيط الى اقصى الخليج لكم ... شعب الى اخذ يوم الثار ينتظر
انكتفي بشعارات وأندية ... ونحن تحت يد الجزار ننتحر

تعلو اناشيدنا في الجو صاخبة ... يرن في مسمع الدنيا لها وتر
وشعبنا شعبنا بالاسر مضطهد ... يسام خسفا على البلوى ويحتقر

وارضنا أرضنا ديست كرامتها ... يبني ويهدم فيها الغاصب الاشر
أسيرنا لم تفد فيه شفاعتنا ... وان أسرنا فنعطيه ونعتذر

كأنهم ما جنوا ذنباً فما قتلوا ... من الرجال ولا عاثوا ولا مكروا
لا الدين لا الوطن المحبوب ينهضنا ... لا الشعب لا ادمع الايتام تنهمر

تحسسوا ان للتاريخ محكمة ... تعلي وتدني من هانوا ومن ظفروا
يا قادة الامة الثكلى يؤرقنا ... انا على قمة الاحداث ننشطر

فوحدويون لم نلمس لوحدتهم ... سوى اقايل لم يصدق بها خبر
ندعو الى الوحدة الكبرى علانية ... وما احتوتنا مضامين ولا اطر

حدودنا في وجوه الشعب مقفلة ... تحصى علينا بها الانفاس والفكر
ومسلمون فلا الاسلام حفزهم ... الى القصاص ولا الايات تدكر

يكاد للمسجد الاقصى بلا وجل ... والمسلمون لهم حشد ومؤتمر
فتلك ايران والاسلام يؤلمه ... بانها لبني صهيون تنتصر

نعطي الكنوز بلا قيد لباغية ... رعناء تمنحها الباغي وتأتمر
جهادنا بالكلام الجزل تحسبنا ... بأننا سوف لا نبقي ولا نذر

تفنى بها فأراضينا وثروتنا ... وشعبنا لشظايا نارها وطر
فان غضبنا شكونا سوء فعلتهم ... ونشجب الفعلة النكرا ونقتصر

ما أضيع الحق لا الاجماع يعضده ... ولا الجيوش على الغادين تعتور
والعدل في منطق الاحداث قدرتنا ... وقوة تردع الباغي فينحسر

لابد من غضبة حمراء مرعبة فالكيد فيما يرد الكيد يندحر
ايه فلسطين يا شعباً بـه اضطرمت قوى التحرر تستشري وتنفجر

تطلعـت لأمانيـه كواكبـه واشرقت في سماء (القدس) تنتشر
تهافتوا للفداء السمح وانطلقوا في رهبة الليل لا خوف ولا خور

قد ابلجوا وشعاع النصر يرشدهم واصبحوا ولواء الفتح منتشـر
ترصدوا قوة الباغي فأرعبـه لم يدر ماذا يخبيه له القـدر

تمرسوا بالنضال الصلب لا عنتٌ يصدهم عن مراميهم ولا حذر
عاش الفدائي حراً في عزيمته وصارماً لم يكفكف عزمه الخطر

قد اوقدوها على صهيون جاحمة ودوخوهم فلا حام ولا وزر
انا لنكبرهـم رأياً ومنطلقـاً واننا بالضحايا الغر نفتخـر

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الفقيد الجليل المرحوم الفكيكي

مجموعة فضائل نادرة

للأستاذ محمدعلي البلاغي

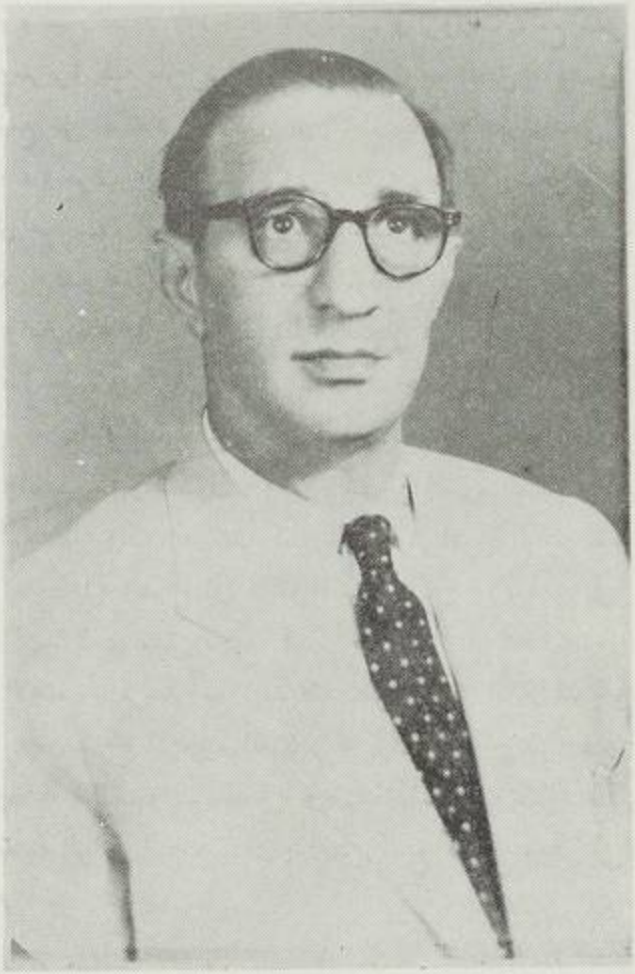

أيها السادة والأخوان :

لقد عرفت مدينة النجف ، قبل أكثر من ثلاثين عاما ، الفقيد الجليل العلامة المرحوم توفيق الفكيكي حاكما ، فعرفته حاكما عادلا ، وفقيهاً لوذعيا ، وأديبا بارعا ، وكاتبا جريئاً ، لا يخشى لومة لائم ، وخطيبا حرا مفوها ، وباحثا يتسم بالاصالة ، وبعد النظر ، ومجادلا يتصف بالانصاف ، ومؤلفاً يلم بأطراف الموضوع ، قوي الحجة واسع الافق ، يستند الى رصيده الضخم من المعرفة والتتبع للاثار والاخبار ، والكتب والروايات ، مع شعور فياض ملتهب ، وسريرة نقية طاهرة ، تدفع به الى تولية الحق ، وعمل الخير ، وحث المجتمع على الابتعاد عن الشر ، والتزام جانب الخير والحق ، فحفلت به النجف ، وتعرف على علمائها وأعلامها ، وأدبائها وشعرائها ، وصار يختلف الى مجالسهم العامرة بالدروس العالية الغالية ، والحافلة بالمناقشات والطارحات الفكرية ، في تحقيق شتى المواضيع الدينية ، والاجتماعية ، والادبية ، والتاريخية فكان ابن بجدتها ، والمجلي فيها بأفكاره النيرة ومداركه الواسعة ، فنال حب واحترام وتقدير الجميع ، حيث كان يتحلى بالادب الذي أرتوى من كأسه ، كما انصرف ـ أثناء مكثه في النجف ـ الى دراسة الفلسفة ، والتفسير ، والاصول ، وغير ذلك من العلوم العالية ، التي جعلته في مصاف الاعلام ، وكان قد نشر كتابه القيم « الراعي والرعية ـ في شرح عهد الامام علي عليه السلام الى مالك الاشتر حين ولاه مصر في سنة ٣٩ هجرية » العهد الذي سبق لجمع كبير من الاعلام والحكماء ، وأعاظم السياسة ، الاهتمام بشرحه ومع ذلك فقد نص الحجة الكبير المرحوم السيد الشهرستاني بأن شرح المرحوم للعهد (قد فاق الشروح طراً ، في احاطته والمامه ، وبلاغة اللفظ وانسجامه ، وجودة اسلوبه ونضامه ، فاستحق ـ لغزارة معانيه الرائقة الراقية ـ أن يدرّس كأنفع كتاب حقوقي في المدارس العالية .

لقد قوبل هذا السفر النفيس ، حين صدوره باكبار الاعلام والمفكرين ، وكبار رجال القانون ، وقد طبع عدة طبعات ، ثم أتبع كتابه في شرح العهد بعدة كتب تناولت شتى المواضيع ، وكانت كذلك موضع تقدير رجال العلم والادب والصحافة في مختلف الاقطار العربية والاسلامية ، والذي أعلمه أن بعض كتبه قد ترجم الى لغات أجنبية كما أتحف الصحف والمجلات ، والمعاهد والمنتديات ، بمقالاته الممتعة ، وأبحاثه الطريفة ، وبردوده ومناقشاته الرائعة البديعة ، التي قد صحح فيها الكثير من الاخطاء التأريخية ، وأجلى الغبار عن الكثير من الحقائق الخفية ، كل ذلك مدعم بالاسانيد والحجج التي لا ترد ، فأصبح من الاعلام الذين يعتمد على رأيهم ، ويعتد بقولهم لتبحره في المنقول والمأثور والمعقول ، ولحافظته القوية التي يتذكر فيها ما قرأه قبل عشرات السنين . ولما كان عليه من التزام الدقة المتناهية في التحليل والتعليل ، واقامة البرهان والدليل فيتحدث عنه وكأن الكتاب أو الموضوع بين يديه ، يتصفح فصوله ، فيعرضها عرضا أنيقا ، ويناقشها مناقشة الخبير .

أيها السادة :

ألحق أن الفقيد العزيز كان علماً من أعلام الفكر ، وكاتباً فذاً بليغا ، فهو دائرة معارف جامعة ، ومجموعة فضل وفضائل نادرة ، فقد جاهد وجالد قرابة خمسين عاما جهاد الابطال بمواقفه المشرفة ، وبما نشره من أبحاث ومقالات وردود وكتب عدة ، دافع فيها عن العرب والاسلام ، ودافع عن رأيه ومعتقده في جميع المواضيع التي تطرق اليها ، تاريخية ، وأدبية ، ودينية ، وقانونية ، وفلسفية وتربوية ، بحجة قوية ، وفكرة واضحة ، مع أسلوب مشرق بحسن البيان ، ولطف التعبير ، تدل على مدى تتبعه ومعرفته ، وسعة اطلاعه وموهبته وتبحره وتعمقه ، وستبقى آثاره ، والتي نرجو أن يوفق أنجاله الاطايب الى جمعها وتبويبها ونشرها ، لتبقى له ولهم خير ذكرى .

أيها الأخوان :

عز على الامة أن تنكب بوفاة الفقيد العزيز ، وهي بأشد الحاجة الى أمثاله مدافعا عن مثلها ، وحاميا لمبادئها وأهدافها ، ورادا لسهام أعدائها الطامعين فيها ، والحاقدين عليها ، الى نحورهم ، وحاملا لرايتها الخفاقة عالياً بروح وثابة ، وشعور فياض ، وايمان صلد ، كما عز على عارفي فضله ، ومقدري جهده وجهاده ، خسارتهم الفادحة ، بفقدهم لعزيز عرف بالاخلاص والوفاء ، وامتاز بالترفع والاباء ، وعاش مترفعا عما يتهالك عليه الناس من حطام الدنيا ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه الله عن مواقفه النبيلة خير الجزاء ، وستبقى ذكراه عاطرة ما زالت آثاره النافعة وما بقيت المعرفة .

وانا لله وانا اليه راجعون .

والسلام عليكم ؟

* * *

السجايا خير المراثي

« في فقيد الأدب والقانون

الاستاذ المرحوم توفيق الفكيكي »

للأستاذ الشاعر خالد الشواف

هل يفيك القريض يا توفيق ما به أنت من رثاء حقيق ؟
يقصر القول عن مدى الخلق السمح اذا طال بالبيان الطريق
أبلغ القائلين في الموت دمع يتندى به لدى الذكر موق
والسجايا خير المراثي اذا حدث عنهن صاحب أو صديق
ولقد قال قائلوك ؛ فقال الفكر والبحث واللغى والحقوق
هذه نخبة الصحاب وفيها لك حل محدث ورفيق
هذه كتبك التي الليل يدري كيف عفت الكرى لها والشروق
وسمعنا : أبا أديب ؛ تزكى ما سمعنا الاقرار والتصديق
وانبرت أريحية أثرت عنك فزادت فيما روت ما يشوق

حدثتنا عن مجلس أنت فيه حين تغشى المحدث المرموق
وروت عنك فيه جدا وهزلا ذاك يغذو النهى وهذا يروق

ما انتهى كل ذاك بل هو باق ما أقيمت للفضل في الناس سوق
نعم زاد الدرب الطويل ثناء للألى يسلكونه موسوق

فاحتقب يا أبا أديب من الذكر حميدا ما نشتهى وتتوق
أوسقت بعضه لياليك في البحث وزاد التأليف والتحقيق

ثم أربى بنوك فيه ، ففيهم كل بر .. وليس فيهم عقوق
فخذ الدرب آمناً من نفاد وسلام عليك يا توفيق

* * * *

اليراع المحزون

للأستاذ الشاعر عبدالصاحب شكر

في جهاد النفوس خلف الحقيقه ... عبـرة للبصـائر المسـتفيقه
اين من همـه النهوض بحق ... من جبان يعاف حتى حقوقـه

كم عرفنا محامدا لم ننلهـا ... فحسدنا لها العصور السحيقه
ليس كل السحاب يأتي بغيث ... ولو ابصرت في السماء بروقه

رب داع الى التجدد لكـن ... لم يمل عن وسائل مطروقـه
ليس كل النفوس تقوى كفاحا ... ولأعبـائه تكـون مطيقـه

غير تلك التي استعدّت وفيهـا ... صفـة البحث للعـلا مخلوقـه
اي شأن لدى الكتابة ما لم ... تلق فيها الاقلام تسعى طليقه

اليراع المحزون اشـفق بثـا ... مذ طوى الموت بيننا (توفيقه)
يا شهيد البحوث جاهدت فيها ... بسـيوف من الكلام ذليقـه

قد تسنمت خطوة لم تصلهـا ... شبهة وهي بالفخار خليقـه
عشقت نفسك العـلاء لهـذا ... حظيت عندها باسمى وثيقـه

ضمن طبـع معطر لم يغير ... مر هـذا الزمان يومـا رحيقه
حيث اجرى الرشاد فيه امتحانا ... بز مفهومه بـه منطـوقه

ما رويت الحديث الا صحيحا ... عـن أصـول مجانباً تلفيقـه
راكنـا للمفيد في كل حرص ... تصـطفيه نميقـة فنميقـه

اعذب القول ما يكون سليمـا ... جاريا من خصائص بالسليقـه
ولقـد تبلغ المواهب فضـلا ... تتحلى بهـا النفـوس العريقـه

هي لو لم تكن عريقة مجـد ... ليس تبقى على الثبات دقيقـه

كان توفيق في الكتـــابة قرما شق فيها على الدهاء طريقـه
قصد الخير مذ اقـــام عليها وتولى مكـــــانة مرموقـــه
قد عقدنا عليـــه ذكرا طريا بقلوب الى الوفـــاء مشـــوقه

نخوة في الاباء غـــذته حتى ملكت لبه وغذت عـــروقـــه
يتلقى محجة بعـــدى اخـرى يتحدى الايام عن ان تعيقـه

يزدرى حاجة يكون لديهـــا يقتضيه الايثار يرعى صديقـه
فقده الرزء في المحافل لكن نالَ مجدا رعى الاله سموقه

وترى نجم ذكره لم يغـــير في سماء الافهام يوما شروقه

* * *

كلمة أسرة الفكيكي

بسم الله الرحمن الرحيم

للدكتور أديب توفيق الفكيكي

سادتي الافاضل ، أيها الحفل الكريم :

باسمي وباسم عائلة الفقيد رحمه الله ، اتقدم اليكم بوافر الشكر وعظيم الامتنان لحضوركم هذا الحفل التأبيني ومشاركتكم ايانا بالمصاب المشترك ، ولن يفوتني شكر السادة الافاضل الذين تجشموا عناء السفر وعناء الطريق ، واخص بالشكر والتقدير السادة الخطباء والشعراء الذين ترجموا وفائهم واخلاصهم للفقيد برائع القول ورفيع البيان في تمجيد ذكرى الفقيد معبرين بذلك في الشعور الصادق لكل الناس الطيبين الاوفياء الذين عاصروا الفقيد وعرفوه ، عرفوه وفيا لهم يوم كان حيا ، بل وفيا للانسان ، وفيا للشعب الذي عظمه حيا وأبنه ميتا وخلده مثلا أعلى للخلق القويم ، وللقاضي الامين ، وللقانوني المستقيم ، وللاديب الحصيف ، وللكاتب الباحث ، وللفقيه البارع .

لقد خلد أبي هكذا ، خلد بأعماله الخيرة ومواقفه المشرفة وأخلاقه الحميدة وتضحياته الجسيمة ، خلد بقوله الحق ولو على نفسه ، ومناصرته للمظلوم والضعيف ولوقوف طاقته ، خلد بيده المبسوطة للخير والرحمة ولو على حساب أعصابه وصحته ، خلد بالتزامه للعدل وانصاف البؤساء ، خلد بالراعي والرعية ، خلد بأدب الفتوة ، خلد بالشجرة العذراء (أدب النخيل) ، خلد أباً رحيما وناصرا أمينا وانسانا شريفا ، حتى ليكاد ان يكون له مع كل انسان مكرمة ، ومع كل صديق مأثرة ، ومع كل مظلوم وقفة ، ومع كل محروم دمعة ، فكأن الناس كلهم أهله وكأن المجتمع بأسره أسرته ، ونشأنا نكنى باولاد الفكيكي ، كنية ولا زالت تزكينا ، كنية تعني المروؤة والشرف والخلق الرفيع ، وتوفر على السائل ان أراد تعرفاً واختبارا ، فطوى لذكرى عميد آل الفكيكي لربنا الذي منّ علينا بأب كريم ، وحلى حياتنا بوسام

ستظل تفتخر بـه الابنـاء والاحفاد على مر العهود • ولن أؤبنك يا والدي لكونك أبي ، انمـا اذكرك يا أب الجميع ، وأخلد ذكراك العطـرة يا ابا الفقراء والمساكين ، ويا معلم الاجيال والمتعلمين ، ويا مجتهدا مجددا عميق التفكـير •

ولن ابكيك يا أبتي لانت ميت فالآخرة خـير وأبقى ، وكيف ابكيك ميتا وأنت المؤمن الصالح ، وكيف نبكيك ونحن نتلو كتاب الله ونعلم جزاء الصابرين • لقد بكيتك وأنت حياً ، بكيتك وأنت معـذباً على فراش الموت تنازع الحياة التي تأبى رحيلك ، لقد نازعت الحياة لا الموت ، الحياة التي ارهقتك طوال نصف قرن ، الحياة التي زهدت بها وكرهتها ، وشاركتك البكاء على حق مضاع وعرض مستباح وشرف مداس وحرم مدنس ، شاركتك البكاء وأنت تبكي قبل الفراق ، تناديني يا أديب اسمع ما أقول ، يا أديب لقد خدمت العـــراق خمسين عاما ، خدمة بكـــل شرف وأمانة ونزاهـة واخلاص • أقولها لك وأنا مفارقك بعد قليل ، يا أديب اعمل لخير الناس مـا استطعت ، ولا تأس عليَّ فاني أموت على الايمـان ، فلا تمت الا على الايمـان • واوصيـك بوالدتك ، فمنزلة الام عنـد الله كمنزلة القديسـين والشـهداء •

نشهد يا ابتي بانك خدمت بكل شرف واخلاص ونعاهدك يا ابتي اننا سنكون أوفياء بالعهد الذي اخذنا به انفسنا حربا على الظلم والفساد ، ناصرين الحق داعمين العدل ، وسنبكي على المعذبين في الارض كما بكيت أنت ، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا •

رحمك الله يا أبتي وأسكنك فسيح جنانه وهنيئاً لك وأنت بجوار ربك قد اديت الامانة وفزت بأسباب الخلود ، فطوبى لك ، ونعم عقب الدار •

اكرر شكري وامتناني لاخواني الحاضرين والمشاركين •

والسلام عليكم •

وعند نهاية كلمة الدكتور أديب الفكيكي ، اختتم عريف الحفل (عبدالله الجبوري) ، منهاج الحفل بقوله :

وهكذا أيها السادة المكرمين ، ينفرط عقد حفلنا هذا ، كما ينفرط عقد حياة كل حي مخلوق ، وسبحان الحي الذي لا يموت ! .

فباسم اللجنة التأبينية أزجي الى حضراتكم أطيب الحمد ، وخالص الثناء .

أجزل الله لكم المثوبة وحسن المآب .

والسلام عليكم .

* * *

الفصل الرابع

صدى الرحيل

كيف عرفت توفيق الفكيكي

للاستاذ جعفر الخليلي

كان اسم توفيق الفكيكي في العقد الثالث من هذا القرن يتردد كثيرا مع عدد من أسماء الكتاب في بعض الصحف العراقية ، وكلما مر يوم اتسعت دائرة هذه الهالة التي تحيط باسمه ، وزادت وضوحا يوما بعد يوم ، فقد كان الفكيكي من الكتاب السياسيين الذين اتسمت اقلامهم بالوضوح في وقت كان يسود اغلب اقلام الكتاب شيء من التعقيد ، وقد كان هذا التعقيد يومذاك رمزا من رموز البلاغة والملكات الادبية لذلك كان الاغلب من الكتاب يعنون بالديباجة واستعمال الغريب من اللغة في تركيب الجمل ، وكلما كانت المقالة صعبة الفهم كثيرة الغموض دلت على عظمة الكاتب واحاطته التامة بقواعد الفن حسب مفهوم اكثر ناسنا يومذاك ، اما الفكيكي وامثاله فقد كانوا ابعد الكتاب عن هذا التعقيد ، وافربهم الى السجية الطبيعية ، لذلك كانت النفوس والنفوس المتفتحة طبعا اكثر ميلا لهؤلاء واكثر فهما لاغراضهم الادبية وما كانوا ينشدونه في مقالاتهم التي ينشرونها في الصحف ، لان مثل هذه المواهب المتجلية فيما

تخط أقلامهم كانت ضربا من ضروب السهل الممتنع الذي ليس بامكان كل اديب ان يأتي به في المقالات ، والخطب ، والشعر .

وكنت بناء على ما كانت تتركه آثار الفكيكي العلمية في نفسي من اعجاب اتخيله رجلا طويل القامة في شبه اكتناز وتناسق في الاعضاء ، وكثيرا ما يتخيل الانسان البلد الذي لم يره والرجل الذي لم يعرفه عن كثب ، والشيء الذي لم تقع عليه عينيه من مسموعاته ومقروءاته . كثيرا ما يتخيله في صور قد تأتي متقاربة مع الواقع في بعض الاحيان ، ومتباعدة كل البعد عن الواقع في أغلب الاحيان .

واذكر ان الدكتور ياجي احد سفراء السودان يوم جاء العراق كان في لهفة لا تشبهها لهفة ، وشوق لا يدانيه شوق ليرى بغداد التي كانت موضوع اطروحته في الدكتوراه بجامعة السوربون قد قال لي انه ندم كل الندم على اختياره العراق حين فوض اليه اختيار المحل الذي يرغب في العمل فيه في السفارات السودانية ، وذلك لان الصورة التي كانت قد ارتسمت في مخيلته عن بغداد في العهد العباسي وهو يكتب اطروحته وجدها تتنافر والصورة التي وجدها في بغداد الحاضرة لا من حيث السكان والمجتمع البغدادي وانما من حيث الابنية والازقة والابواب وطراز الشبابيك والريازة الجميلة التي كان يطمح ان تكتحل عيناه برؤيتها والرواشن التي جاء ذكرها في هندسة البيت ، ولكن كل هذا ـ يقول الدكتور ياجي ـ قد انمحى من لوحة الذهن عند اول هبوطه من الطائرة ، وحين مشت به السيارة من المطار الى السفارة كان قد زال من ذهنه آخر خط من خطوط تلك الصور الرائعة من تلك المدينة العظيمة في عصورها المزدهرة ، وهكذا كان بالضبط شأن الدكتور زكي مبارك مع بغداد يوم دخلها لاول مرة .

ويرى البعض ان التسمية كثيرا ما تكون دليلا لمعرفة الشيء وصفاته ،

وهو صحيح في الاسماء التي توضع بناء على ما اختصت به من الصفات ، ولكن ليس كل اسم من الاسماء يوضع على هذه القاعدة ، قاعدة الصفة الخاصة بالاسم لينطبق الاسم على المسمى ، ومع ذلك فقد يتخيل المتخيل لكل اسم ، ولكل عمل ، وكل حديث ، صورة من الصور قبل ان يراها ، وهكذا تخيلت توفيق الفكيكي وانا استعرض معنى التوفيق ، واقرأ مقالاته ، واسمع بعض التعليقات لبعض الكتاب على كتاباته كما تخيلت قاسم العلوي ، وسلمان الشيخ داود ، ورزوق غنام ، ورفائيل بطي ، وسامي خونده ، ورشيد الهاشمي ، وعبدالغفور البدري ، وعبود الكرخي ، وخلف شوقي الداوودي ، وابراهيم حلمي العمر وغيرهم فلم يختلف تخيلي لهم قبل ان اراهم مع الواقع الذي كانوا عليه من حيث الصورة الا قليلا ، اما الفكيكي فقد كان التباين كبيرا بين ما كنت اتخيل صورته والصورة التي وقعت عيناي عليها ، فهذا هو الفكيكي : رجل قصير القامة ، صغير الحجم مثله مثل عبدالقادر المازني اذا لم تكن مسبوقا بقصر قامته ، وعرجه ، ثم تركت للاسم والاثر وحدهما ان يخطا في ذهنك ما يخطان ، ويوحيا لك عن هيكله الجسمي وشكله ما يوحيان .

وأول ما التقيت الفكيكي التقيته في (قهوة البيروتي) ، وقهوة البيروتي هذه كانت اكبر مقاهي بغداد على الاطلاق ، وكانت تقوم على الجسر من جانب الكرخ ، وتمتد على موازاة النهر وخلفها يمتد سوق هو الطريق الوحيد الذي يسلك منه السالك الى القصور القائمة على دجلة حتى السفارة البريطانية ولم يبق اليوم اثر لقهوة البيروتي ولا للسوق وانما تقوم عليها اليوم بناية لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، وساحة لوقوف السيارات ، وقد قيل ان شهرة هذه المقهى قديمة ابعد من شهرتها بوم كان ابراهيم البيروتي الذي قيل عنه انه كان من عمال البيروتي الاصلي ثم انتقلت المقهى اليه بعد ان مات البيروتي ولحقت به نسبته .

ومقهى البيروتي كانت تعتبر بمثابة ناد عام ، وملتقى لجميع التجار والوجوه ، ومضرب موعد لجميع الذين يقدمون من خارج بغداد ومن الجنوب خاصة .

وهنا في هذه المقهى تلتقي بالمحامين ، وبالدلالين ، والتجار ، وها في مقهى البيروتي كثيرا ما تتم صفقات البيع والشراء وعقد المقاولات ، وكانت اكثر مدن العراق لا تزال على عادتها السابقة في اعتماد المسافرين في ايصال المكاتيب والامانات الخفيفة وذلك لما خلف البريد على العهد العثماني من قلة الثقة بسبب تلكؤه وبطئه وقد دامت قلة الثقة هذه الى ما بعد انتظام البريد في عهد الاحتلال البريطاني وقيام الحكومة العراقية بسنين طويلة ، وكان الناس في أغلب المدن اذا عرفوا باقدام شخص على السفر الى بغداد قصدوه ، ودفعوا بمكاتيبهم اليه ليوصلها الى (قهوة البيروتي) التي لابد وانه سيمر بها ، فاذا فعل ذلك اطمأن صاحب الرسالة من وصولها .

ولقد كان البعض من الناس في مدينة النجف يخرج بمكاتيبه الى خارج المدينة فيدفع بها الى من يرى من المسافرين حتى وان لم يسبق له ان عرفه من قبل لان حمل هذه الرسائل قد أصبح بمثابة الفريضة التي تفرض التعاون والمشاركة في تسهيل أمور الناس اذ قد يحتاج حامل الرسالة هو ذات يوم الى مثل هذه المساعدة ، وما على المسافر الا ان يحمل هذه الرسائل الى مقهى البيروتي فيتسلمها منه ابراهيم البيروتي ويوزعها على أصحابها الذين قل من لم يرتد مقهاه اما ما يتبقى من المكاتيب فيضعها البيروتي فوق الرف من (الأجاق) ـ الموقد ـ أو فوق صندوق النقد ، ليتسلمها صاحبها حين يمر بمدخل المقهى .

وعلى ذكر البريد والرسائل في تلك الايام اذكر ان (تومان عدوة) وهو من مشاهير هؤلاء الذين يسمون (بالمشاهدة) في النجف ومن

المعروفين بالظرف والفكاهة قد همّ بالسفر الى بغداد ذات يوم وبداعي هذه السنة : سنة ايداع الرسائل الى المسافرين حمّله جمع كبير طائفة كبيرة من هذه الرسائل ليسلمها الى (قهوة البيروتي) ، ولكنه حين وصل بغداد ودخل (قهوة البيروتي) هاجت في نفسه دعابته ولا تسل عما اذا كان مثل هذا الرجل يدخل ضمن دائرة الدعابة وانما عليك ان ترى ماذا فعل (تومان عدوة) بالمكاتيب ، فقد اقتعد احدى الارائك المطلة على دجلة وبدأ يخرج المكاتيب من جيوبه ويمزقها ويلقي بها في النهر .

وليس بالمستغرب ان يفعل تومان مثل هذا باسم الدعابة فان هناك الكثيرين ولم يزل منهم الكثيرون حتى اليوم يستسيغون هذا اللون ويعتبرونه ضربا من ضروب المزح والنكتة الحلوة سواء كان داخل هذه المكاتيب صكوك أو وثائق أو أخبار ذات أهمية ، فان تمزيقها دعابة حلوة في عرف هذه الطبقة ، وان على اصحاب هذه الرسائل التي مزقها تومان ان يضحكوا اذا ما سمعوا بمصير رسائلهم ، بل عليهم ان يضحكوا بملء اشداقهم .

وجئت أنا من النجف الى بغداد احمل رسالة من احد تجار الحبوب في النجف الى احد تجار الحبوب ببغداد اسمه الحاج توفيق ، ولا اذكر الآن لقبه ، وقال لي صاحب الرسالة وانا استقل السيارة في النجف : حسبك ان تبلغ مقهى البيروتي ـ ولاشك انك بالغها ـ وتسأل عن الرجل فستجده هناك حتما ، ثم توسل الي بان لا اتوانى في ايصالها لان في الرسالة شيئا يهمه جدا .

ووصلت بغداد ، وقصدت (قهوة البيروتي) وسألت صاحبها ابراهيم عن الرجل فأشار الى الجهة الجنوبية من مقهاه ، وقال لي انه الرجل الذي يقتعد تلك الاريكة والذي يدخن (النرگيلة) ، فرحت أليج الممرات الضيقة بين الارائك ، فأخرج من دروب ضيقة وادخل في دروب ضيقة من صفوف

الكراسي والارائك والمقهى ـ كما يذكرها من يذكر ـ كبيرة واسعة ، حتى بلغت الرجل ، وكان يجلس على تخت مستقل ورجلاه متدليتان لا تكادان تلغان منتصف ارتفاع التخت ، وكان صغير الحجم ، قصير القامة ، وكانت بيده جريدة يتلهى بها ، أقول يتلهى بها لاني لم أره متعمقاً فيها ، وقلت له : ان تاجراً من تجار حبوب النجف هو الذي حمّلني هذه الرسالة اليك ، وطلب مني ان اوصلها بكل سرعة اذا امكن • فتناول الرسالة وما كاد يقرأ العنوان حتى ضحك وتوجه بنظره الى صوب شخص لا يبعد الا قليلا منا وصاح : حاج توفيق •• حاج توفيق ، فقام الينا الرجل وكان رجلا فارع الطول ، ضخم الجثة يعتمر لفة من العقال لم ازل اتصورها جيداً والتي لم يبق اليوم من يعتمر امثالها الا القليل ، وهناك قال لي صاحبي :

أعتقد ان شيئاً من سوء التفاهم قد حصل بسبب الاسماء فأنا توفيق الفكيكي ، وصاحب هذه الرسالة انما هو الحاج توفيق •••

وكم كانت دهشتي عظيمة لهذه المصادفة الغريبة التي تم لي فيها التعرف بتوفيق الفكيكي عن كثب ، وهنا طلب الفكيكي مني الجلوس في المقهى ، وكان الوقت صيفاً ، ولم ازل اذكر انه نادى فطلب لي كأسا من (الأزبري) ولم اكن اعرف يومذاك بعد ما هو (الأزبري) حتى جاء به النادل فاذا هو من المرطبات اللذيذة ذات النكهة الطيبة وكان لونه أخضر زاهيا ، وكان الكأس كبيرا مما لم يبق له مثيل في الحجم اليوم في المقاهي ولم تقع عليه عيني منذ سنوات بعيدة •

صحيح انني كنت اجيء الى بغداد في العطل المدرسية فقد كنت من معلمي المدرسة الاميرية الوحيدة في النجف ، وكنت أرى في مقهى البيروتي وفي المقهى التي كانت تقوم قبال وزارة المعارف بشارع المأمون والتي شغلتها مديرية الآثار فيما بعد ، وكنت أرى ألواناً من هذه المرطبات ولكني لم أدر لِمَ لمْ يستهويني شربها ، وكان من اكثرها انتشاراً مرطبات غازية كانت تسمى (بالناملیت) ، ولكن رأيي قد تغير فيها منذ ان شربت

هذا الأزبري عند الفكيكي ، حتى لقد بحثت عن محل بيع الأزبري وهذا اللون الاخضر منه واقتنيت منه قنينة وأخرى صفراء كان على القنينة هيكل كمثرى بارزة من الزجاج وجئت بهما معي الى النجف .

ولست أدري كم مكثت الى جانب الفكيكي في (قهوة البيروتي) كما لم اذكر الآن بالتفصيل كل ما دار بيننا من الاحاديث ، وقد قمت من المقهى على أمل ان التقيه كل يوم في هذا المجلس ما دمت في بغداد .

فصرت أمّر على (قهوة البيروتي) فأجده أحياناً في نفس المكان وعلى التخت نفسه فهو من الذين اعتادوا قلة الحركة وقلة تغيير المكان وكنت أراه في بعض الاحيان الى جانب بعض الاصدقاء ، وأحياناً كنت امر بالمقهى فلا اجده فأجد خبره عند ابراهيم البيروتي .

وأصّر ذات يوم وقد طال مجلسنا حتى تجاوز أذان الظهر ، لقد أصّر على ان نتناول الغداء معاً ، وهنالك نادى أحد صغار الندل في المقهى وطلب منه ان يأتي لنا بعدد من سياخ (الكباب) والطماطة المشوية ، وكان غذاء فاخراً طالما ذكرته به بعد ذلك حين اشتدت اواصر الصداقة بيننا .

ولا اذكر كم مرة التقيت الفكيكي عند زياراتي لبغداد ولكني على يقين انني ندر ان زرت بغداد ولم ازره في نفس المكان من هذه المقهى ، وكان يعجبه ان يوّري بين لقبي ومعناه فينعتني بخليله وينادي (بخليلي) اضافة الى ياء النسبة ، وكان غير صديق يفعل مثل هذا حتى لقد ادخل البعض ذلك بالشعر فوّري بين نسبتي ومعناها ، ولكني احسب ان الفكيكي كان اسبق من غيره في استعمال هذه التورية ومناداتي يا خليلي .

وتحولت هذه اللقاءآت بعد ذلك الى صداقة متينة ، وولاء واخلاص ، ومرّت بعد ذلك سنوات اصدرت فيها جريدة الفجر الصادق ثم جريدة الراعي ، ثم جريدة الهاتف في النجف ، وجرى تعيين الفكيكي حاكما

منفرداً للواء كربلا ، وصادف ان غاب حاكم محكمة النجف في اجازة طويلة اسندت فيها حاكمية النجف وكالة اليه بالاضافة الى حاكميته المنفردة في كربلاء فكان يأتي النجف لينظر في دعاوى محكمتها بين آونة وأخرى وكان قبل ذلك قد شغل حاكمية (أبو صخير) القريبة من النجف ، فكانت هذه الاسباب هي التي تجعل صلته بالنجف قوية ومستديمة ، وتشده الى الادباء شداً محكما ، وما لبثت ان اتسعت دائرة معارفه ، وأصبحت له داله كبيرة على الاشخاص ، كما وثقت زياراته هذه صلاته بجمع كبير من العلماء وفي طليعتهم الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذي احبه حباً جماً ، وبالخطيب الكبير الشخ محمد علي اليعقوبي ، وبالشاعرين البارزين السيد محمود الحبوبي وصالح الجعفري ، ومحمدعلي البلاغي صاحب مجلة الاعتدال وبجميع أعضاء جمعية الرابطة الادبية في النجف ، ولم يلبث حتى أصبح من اسرة جريدة الهاتف القلمية وورد اسمه في نهاية احدى سنين (الهاتف) ضمن صفوة كتاب (الهاتف) واعضاء اسرته القلمية ، وكان ينشر أغلب مقالاته في الهاتف بتوقيع ابي أديب وهي كنية باسم ابنه الاكبر توقيا من المسؤولية أو الملامة ، فيما اذا بدا منه ما يخالف الرأي العام أو رأي الحكومة بصفته حاكماً تفرض عليه المقتضيات ان يتجنب الخوض في الشؤون العامة وان تكن بعيدة عن السياسة والشؤون الخاصة ، ومع ذلك فقد يخرج على العرف والمقتضيات بعض الاحيان فيعلن عن اسمه الصريح ويذيل مقالاته باسمه الكامل ولا سيما حين تكون هذه المقالات ذات علاقة بالشؤون الادبية او الفقهية .

وأعتقد ان الفكيكي منذ هذا التاريخ أي منذ تعيينه حاكما منفردا في مركز لواء كربلا قد بدأ يشغل من ذهن المثقفين والمتتبعين وأهل الادب مركزا مرموقاً فقد دعته مقتضيات وظيفته كحاكم ذي شأن ان يتتبع الكتب الفقهية والادبية التي تعج بها مكتبات النجف العامة والخاصة مما

ليس من السهل الحصول عليها في غير مدينة النجف ولا سيما المخطوطات المتنوعة منها ، بالاضافة الى حضوره مجالس بحث العلماء وأندية الادباء وعلى الاخص مجلس الامام كاشف الغطاء ومجلس الشيخ محمد رضا الشيخ هادي ، ومراجعته لمكتبتهما العامرتين اللتين تعتبران من أكثر المكتبات نفاسة وأهمية لاحتوائهما على عدد من الكتب الخطية اليتيمة .

أجل لقد ذاعت شهرة الفكيكي كباحث ومتتبع وأديب منذ هذا التأريخ وأصبح هذا التاريخ حدا فاصلا بين الفكيكي الصحافي الكاتب ، والفكيكي الباحث المحقق ، وقد زاد هذا من قيمته ككاتب سلس العبارة ، مشرق الديباجة حتى أشار الى ملكته هذه غير واحد من الكتاب والشعراء ، وفيه يقول عبدالقادر رشيد الناصري وهو يستعرض أحد مؤلفاته ، من قصيدة طويلة ، يقول فيها :

أدب كسلسال الصفا يترقرق ... سحر العقول رواؤه والرونق
نظمت لآلئه يراعة عالم ... يملي عليه فؤاده والمنطق

المبدع الكلم الرقاق كأنها ... من حسنهن عرائس تتألق
فكأنما ألفاظه في نسجها ... درّ باعناق الحسان يعلّق

وكأنما الفاظه زهر الربى ... فمبعثر من جانب ومنسّق

... الخ

وألّف توفيق الفكيكي في مواضيع مختلفة طبع بعضها ، ولا يزال بعضها مخطوطاً ، وكان من اشهر كتبه كتاب المتعة ، الذي غربل فيه التاريخ باحثا عن أصل المتعة في الاسلام والتشريع الصادر بها من النبي محمد (ص) حتى زمن الخليفة عمر (رض) الذي حرمها فوقع بذلك الاختلاف بين من رأى جواز هذا التحريم ، وبين من لم يجز هذا التحريم بعد تشريع النبي (ص) لها ، ويمضي الفكيكي في تتبعه التاريخي المجرد عن

التحيز لاية جهة من الجهتين حتى يورد في بحثه رأي المشرعين في قوانين العصر الحاضر ، وهو كتاب احدث ضجة كبرى في الاوساط ، وقد ترجم – على ما بلغني الى بعض اللغات كالانكليزية ، والفارسية ، والهندية ، ولكني لم اقف الا على الطبعات العربيـة ، وحتى اليوم والكتاب المذكور مطلوب مرغوب وهو بحكم النادر وقد يطبع طبعات جديدة أخرى لكثرة ما يلقى من الطلبات .

وعلى ان كتاب (المتعة) في الاسلام يعتبر من أهم الوسائل التي قامت بتعريف الفكيكي كباحث ، وكباحث فقه وتشريع واسع الاطلاع فان كتاب (الراعي والرعية) كان أوسع تعبيرا عن ملكات الفكيكي العلمية والاجتماعية والقانونية .

و (الراعي والرعية) هو شرح لعهد الامام علي بن أبي طالب (ع) الذي كتبه الى مالك الاشتر حين ولاه مصر ليتخذ منه دستورا في كيفيـة معاملة الرعية وتنظيم أحوالهم ، وادارة شؤونهم ، وقد سبق ان تولى شرح هذا العهد والتعليق عليه عدد من فحول العلماء والمؤرخين في مختلف العهود وبأساليب مختلفة ، ونهج خاص ، ولكن هذا الشرح والتعليق الذي قام به الفكيكي لهذا العهد قد بزّ جميع تلك الشروح والتعليقات السابقة .

وقـد أشار السيد هبـةالدين الشهرستاني في مقـدمته التي كتبهـا (للراعي والرعية) كما أشار الاستاذ محمد عبدالغني حسن في الطبعـة الثانية من الكتاب الى بعض من قام بشرح هذا العهد كالامام الشيخ محمد عبده الذي شرح العهد في كتاب (مقتبس السياسة) الذي طبع في حيـاته سنة ١٣١٧ ، وكالسيد الماجد البحراني وذلك خلال القرن الحادي عشر الهجري والذي سمى شرحه (بالتحفة السليمانية) وكسلطان محمد المتوفى سنة ١٣٥٤ الذي سمى شرحه (بأساس السياسة في تأسيس الرياسة) وقد ترجمه الوقاري الوصـال الشاعر الشيرازي نظماً بالفارسية وهو شـاعر

مشهور من أبناء القرن الثالث عشر الهجري وقد توفي سنة ١٢٧٤هـ ، كما ترجمه الشاعر التركي محمد جلال نظما الى التركية على ما ذكر السيد هبةالدين الشهرستاني الحسيني .

والكتاب هذا يصور هدف الاسلام من التشريع وفلسفته وما ترمي اليه الشريعة الاسلامية من تعميم هذا القانون لكي يسود العدل جميع أقطار الدنيا وأنحائها دون تفرقة بين مسلمين وغير مسلمين .

وقد أهدى لي الفكيكي كتابه هـذا فلم يتسن لي ان أقرأه في وقته حتى مرّ وقت طويل والكتاب كاد ينفد من السوق وأنا مشغول عنه ومستبق اياه وكتبا أخرى الى ساعة يصفو فيها بالي من أعمال الجريدة وقراءة ما يتعلق بها ، ولقد قال كل من أراد ان يقول قولته في (الراعي والرعية) ولقد قرأت بعض تلك الاقوال والتقاريظ في الصحف كما تقتضيني مهمتي الصحافية ، ولكن هذا لم يعجل بي الى قراءة هذا الكتاب وغيره من الكتب المهمة التي كنت انتظر الفراغ لقراءتها لنفسي وليس لعملي الصحافي ، وكثيرا ما كنت التقي الفكيكي ، فيدور الحديث حول جميع المواضيع الا موضوع (الراعي والرعية) !!

وذات يوم ونحن في مجلس من هذه المجالس الادبية المشرقة في بيت الشيخ قاسم محي‌الدين جاء ذكر (الراعي والرعية) فوجه الفكيكي حينذاك عتابه الي وجرى الحديث بهذا المضمون .

قال ـ كنت أريد ان أسمع نقدك ومأخذك على الكتاب ، ولكنك ـ ولست أدري لماذا ؟ ـ بخلت حتى بالنقد ؟ فهل وجدت في الكتاب ما لا يستساغ ذكره ؟

قلت ـ معاذ الله ... وأنت أدرى برأيي في آثارك ، وكم يخجلني ان يخونني (التوفيق) فيحول بيني وبين قراءة هذا الكتاب والكتب الاخرى ...

فقال لي بشيء من التعنيف بما مضمونه :

ـ ما كنت أحسب ان كتب الجنس التي شغلت الشباب في هذه الايام بقادرة على ان تشغلك عن (الراعي والرعية) .

فضحكت ... وطالما كان يقول الفكيكي مثل هذا في مناسبات كثيرة وينعى الادب وضياعه ، وعدم قدرته على ان يطرد التافه من أذهان القراء ليحل هو محلها واذا سلمنا ان عنصر الجنس ضرورة من ضرورات الحياة فليس معنى ذلك ان يكون الجنس كل شيء في حياة الانسان بحيث يشغل كل فراغه ، وهذا الخبز وهو العنصر الاساسي في حياتنا نحن العراقيين والذي لولاه لمات من اتخذه وحده دون غيره من عناصر التغذية ، هـذا الخبز لا يستطيع بأي وجه من الوجوه ان يكون الشاغل بحيث يدعونا الى ان نأكل من الصباح الى المساء ، وعند اية فرصة حاصلة ، فاذا كان لهذا الخبز أو الماء وهو العنصر الاساسي في الحياة حدود وأوقات فكم يكون الاهتمام بالجنس اولى بهذه الحدود عند الشباب .

أقول : ان الفكيكي كان يرى كما كنت أنا أرى ذلك ولعله من قبيل توارد الحاضر ان نقول معا ان الشباب بدأ يعنى بالترفيه في قرائته أكثر مما يعنى بالجمع بين التهذيب والتوجيه والترفيه معاً ، وأنا أرى ان الترفيه حق ولكن هذا الحق لا يجـوز له ان يطغى على الكل ويصبح كل شيء في الوجود .

ولقد أشار الفكيكي الى مثل هذا في بعض كتبه فقال :

« ان المؤلف لا ينال عندنا الا الاجحاف من الاصدقاء ، والهضم من الحساد الاغبياء ، اما المجلات الخلاعية ، والروايات الهدامة لروح الفضيلة والاخلاق ، والكتب الضحلة ذات العناوين الخداعة المستوردة فلها سوق نافعة عند شباب هذا البلد وشوابته يتهافتون عليها كالفراش على النار مع

الاسف الممض ، أقول هـذا وفي النفس حسـرات ، وفي الكبـد قروح وجمرات » .

وفي ذلك اليوم الذي تلقيت من الفكيكي ذلك التعنيف بدأت أقرأ كتـاب الراعي والرعية ، وما كدت انتهي من قرائته حتى كتبت الكلمـة التالية عن كتابه في جريدة الهاتف فنقلها مع ما نقل من كلمات الآخرين عن الكتاب ونشرها في طبعة كتابه الجديدة .

وأنا انقل هنا كلمتي من المسودة التي اعتدت ان احتفظ بامثالها فيما يخص نقد الكتب ويقرظها دون غيرها ، وهي الكلمة التي كان يرغب فيها الفكيكي رغبة ملحة في ان يعرف رأيي الصريح الذي لا تشوبه أية شائبة المجاملة ، فقد جاء في المسودة ما يلي :

« بين رجـال القانون عندنا طبقـة امتازت بالمواهب الادبية امتيازهـا بالمفاهيم التشريعية والقوانين فراحت تعنى بدراسة الادب العربي وتاريخه عنايتها بالقوانين والانظمة ، فكان من نتائج تلك الموهبة ان ظفرت المكتبـة العربية بطائفة من الدراسات العلمية المختمرة والبحوث الادبية الممتعة التي كثيرا مـا ساعدت على رفع مستوى الثقـافة العامة ، ووفرت جهودا كبيرة للباحثين والمنقبين بما استخرجت لهم من كنوز التاريخ ، وكشف من أقنعة الشكوك والريب والاوهام ، ويأتي الاستاذ توفيق الفكيكي بين طليعة هؤلاء المعنيين بالادب والتشريع ، فقد صدرت له بعض المؤلفات الدالة على ما يمتلك من قابلية مرموقة في عمق البحث والدراسة ، وهو لا يزال يقتل فراغـه باخراج طائفة من هذه المؤلفات التي تجمع بين التاريخ والادب والتشريع والاحكام .

وآخر ما وصل الينا منه كان كتاب (الراعي والرعية) وهو شرح ضاف لعهد الامام علي (ع) الذي وجهه الى مالك الاشتر (رض) حين ولاه ولاية مصر .

وهذا الشرح مصدر بمقدمة ضافية للعلامة الجليل السيد هبةالدين الحسيني الشهرستاني ، وبمدخل كتبه له : حجة الاسلام الشيخ هادي آل كاشف الغطاء بصفته من أكثر العلماء تتبعا لآثار الامام علي بن أبي طالب (ع) ومن أكثرهم وقوفا على خطبه ، فقد صدر له مستدرك على نهج البلاغة حوى الخطب التي تم تحقيقها والتي فات الشريف الرضي جمعها مع ما جمع من خطب نهج البلاغة ، كما احتوى كتاب الفكيكي على خلاصة جامعة عن الامام علي (ع) وترجمة اجمالية عن مالك الاشتر (رض) ـ ولم يكن الاستاذ الفكيكي بأول شارح لهذا العهد وانما تولاه بالشرح والتعليق جمهور كبير من علماء القرون المتقدمة ممن أشار الى بعضهم العلامة هبةالدين الحسيني في مقدمته .

اما شرح الاستاذ الفكيكي فيمتاز بثلاثة أمور :

١ ـ شرحه العهد بعقلية العصر الحاضر ، مما جعل الفرق كبيراً بين هذا الشرح والشروح المتقدمة .

٢ ـ عرضه لآراء الشراح واستخلاص رأي أدعى للاطمئنان وأقرب للحقيقة .

٣ ـ افراده للكلمات اللغوية تفسيرا مستقلا دوّنه في هوامش الكتاب مما سهل توضيح الجمل والكنايات والتشابيه وسائر فنون البلاغة والبديع .

وللميزة الاولى طابعها المشهود في الشرح عند كل مادة وكل موضوع من مواضيع (العهد) يعود اليها الفضل في توجيه الانظار الى ما يتضمن (العهد) من الاحكام والوصايا التي تنطبق على هذا العصر ـ كما لو كان المشرع أحد فلاسفة هذا العصر وكبير أئمته ـ حتى لكأن القارىء لا يقرأ عهداً يرجع تاريخه الى ألف وثلثمائة سنة ونيف ، وانما يرى نفسه أمام

خلاصة لمجموعة من الشرائع الحديثة في القضاء والادارة ، والسلم ، والحرب ، وكل ما يتعلق بالمجموعة البشرية من نظام يقوم على العدل ، ويضمن للناس السلام والاطمئنان ، ورغد العيش والهناء .

نقول : ان ميزة شرح الاستاذ الفكيكي للعهد الذي كتبه الامام علي (ع) لمالك الاشتر (رض) تنحصر في ثلاث نقاط ، والصواب ان نقول في أربع نقاط ، فالنقطة الرابعة كامنة في أسلوب التأليف وعرض المواضيع ، فأنت لا تنتهي من قراءة أي فصل من فصول الكتاب الا وتجد نفسك أمام خلاصة عامة لمختلف النظريات الحقوقية ، والقوانين المرعية لدى الحكومات المتحضرة ، وبذلك وفق المؤلف غاية التوفيق في جعل كتابه هذا ملتقى لكبار المفكرين من علماء التشريع ، ومرجعاً لطائفة من البحوث الادبية ، والآراء الاجتماعية الحديثة ، وهذا وحده لدليل كاف على مدى ما عانى هذا المؤلف في الجمع والبحث والتنقيب من مساع حميدة مذكورة بالشكر والثناء .

والذي يعرف (أبا أديب) ويعرف غزارة علمه لا يستكثر عليه مثل هذا الانتاج الادبي الرائع لاسيما فيما يتعلق بالقضاء والتشريع الذي تؤيده أحكامه التي يصدرها من منصة القضاء ، والتي قلما اعترضتها محكمة التمييز وردتها اليه لاعادة النظر فيها من جديد » .

وبعد نشر هذه الكلمة في جريدة (الهاتف) تلقيت منه رسالة بحثت اليوم عنها في أضابير الرسائل لادرجها هنا فلم أعثر عليها ، ولكني أذكر ان مضمونها كان شكرا وكان ضربا من ضروب الاعتزاز بكلمتي تواضعا منه ولطفا .

* * * *

والفكيكي بغدادي أصيل ، مع ذلك فقد صار نجفياً ذات يوم وأكثر نجفية من النجفيين لكثرة اتصاله ببيوتهم العلمية ، ومعرفته بأعلامهم ،

وبحثه المتواصل بين مكتبات البيوت الخاصة ، وتتبع المخطوطات التي تنفرد بعض الخزانات النجفية بها ، وكانت صلته بالشيخ محمدعلي اليعقوبي قد سهلت لـه اشباع رغبتـه العلمية ومكنتـه من الاطـلاع عـلى النفائس من المخطوطات النادرة اليتيمة ، ولا سيما ما كان يحتفظ به اليعقوبي نفسه في صندوقه الكبير الذي جمـع الشيء الكثير من القصائد والرسائل المفقودة لطائفة كبيرة من شعراء الحلة وأدبائها وشعراء النجف وأدبائها سواء الذين جمع آثارهم أبوه الشيخ يعقوب أو الذين جمع آثارهم هو من مختلف المظـان والخزانات امثال بيت السيد حسين القزويني في النجف ، وبيت السيد محمد القزويني وآل عوض في الحلـة وغيرهم ، حتى لقـد انحصر تاريخ الادب العراقي في القرن الثامن عشـر والتاسع عشر والعشرين باليعقوبي وبهذه الخزانة التي اطلق عليها اسم صندوق اليعقوبي ، أو كاد ينحصر اذا طلبنـا الدقة الكاملة في التعبير .

ولشدة اتصـال الفكيكي باليعقوبي وملازمته لـه فبالامكان ان يعـد الفكيكي بمثابة الراوية لليعقوبي ، وكان الفكيكي قد وصف اليعقوبي مرة بمقال نشره في جريدة الهاتف كان من أروع أدب القريض بحيث يصلح وحده ان يكون عنواناً لادب الفكيكي وعلو كعبه في الانشاء ، وطول باعه في البلاغة ، ولمن يريد الوقوف على هذه الكلمة وديباجتها ان يرجع الى كتاب : (هكذا عرفتهم)[1] .

ولصندوق اليعقوبي حكاية قـد مر طرف منها في استعراض حيـاة اليعقوبي في الجزء الثاني من كتـاب (هكذا عرفتهم) فقـد كان اليعقوبي حريصاً على صندوقه هذا لما عرف بـه محتواه مما اشرنا اليه من الشوارد الادبية ، والوثائق التاريخية من تراجم أئمة الادب والعلم من لا تحويه أية

---

(١) هكذا عرفتهم ج٢ ص١٤٧ .

خزانة أخرى ، وكان حرص اليعقوبي قد وصل به الى أقصى حدود البخل بحيث كان يمتنع من كشف غطاء الصندوق حتى لأعز أصدقائه وأحبائه باستثناء توفيق الفكيكي الذي كان يصول ويجول في هذا الصندوق وحده لما كان بينه وبين اليعقوبي من المحبة والمودة والثقة الخالصة .

وكان من رأي الفكيكي وجوب تفرغ اليعقوبي وتصديه لاستخراج هذه الكنوز وغربلتها وتصنيفها ، وسد الفراغ الحاصل في تاريخ الادب بها ، ولكن اليعقوبي كان يشعر بثقل مسؤولياته الكثيرة وهو الخطيب الاكبر للمجالس الحسينية فضلا عن ان مشروعا كهذا يتطلب نفقات كثيرة يصعب على اليعقوبي تدبيرها ، ولكن مثل هذه المعاذير لم تخفف من الحاح الفكيكي واصراره على وجوب العمل لاخراج هذه الكنوز .

وكلمني الفكيكي يومها بشأن هذا الصندوق ـ صندوق اليعقوبي ـ في ان يكتب في جريدة الهاتف كلمة عن هذا الصندوق عسى ان تكون سبباً في هياج بعض الكتاب واشعال نار ثورة عارمة في وجه اليعقوبي يكون من نتائجها فتح الصندوق واخراج بعض محتوياته عسى ان يتم نشر بعض البحوث المستقلة من الشعر والنثر مما لم ينشر من قبل فتظفر جريدة الهاتف بشيء من هذا الكنز ويكون لها الفضل في نشره بين الناس ، فرحبت بفكرة الفكيكي واعددت له المكان اللازم لنشر كلمته ، وما كادت تنشر كلمة الفكيكي عن صندوق اليعقوبي حتى انبرى عدد من أرباب الفضل والشعر يعلقون على مقال الفكيكي في جريدة الهاتف ، وظل الهاتف ينشر تلك المقالات والقصائد مدة طويلة وكان من هؤلاء الذين هاجهم مقال الفكيكي وحملته على اليعقوبي لبخله وحرصه على الصندوق : الشيخ جعفر نقدي ، والشيخ محمد حسن حيدر ، ومحمد الخليل ، وكان الامر كما توقع الفكيكي اذ اضطرت هذه الحملة الشيخ اليعقوبي الى فتح باب الصندوق على مصراعيه ، وبدأ منذ ذلك اليوم يخرج المقال تلو المقال وينشره في الهاتف ،

واذا بالقراء والقراء الباحثين يقرؤون أشياء جديدة لم يكونوا ليقرؤها لولا الفكيكي ، وكان من هذه البحوث تراجم لشعراء لم يبق لهم التاريخ ذكراً ، وقصائد كانت قد كتبت بأقلام أصحابها ، وفي ذلك خاطب الشيخ محمد حيدر توفيق الفكيكي قائلا :

لولاك لم ندر ما يحويه من ادب[1] ومن كمال لأهل الفضل مرغوب
شحّت بـه نفسه بخلا ولا عجب فالشح والبخل من طبع ابن يعقوب
فهل (أبو الطيب) هذا البخل أورثه ام ابن يعقوب قد أعدى (ابا الطيب)

ثم اضطر اليعقوبي بعد ذلك للاهتمام بتنسيق تلك المواضيع وتأليف الدواوين فخرج من الصندوق عدد من الكتب النفيسة الى حيز الطبع كان منهـا : ديوان ابي المحاسن اقـدم وزراء المعارف في العراق ، وكان ديوان صالح الكواز ، وكان ديوان ابن القيّم ، وكان (البابليات) وهو كتاب تراجم لطائفة من شعراء الحلة يقع في ثلاثة أجزاء ، وكتب أخرى لولا الفكيكي لما كتب لها ان ترى النور لا سيما هـذا الكتاب اعني (البابليات) الذي قضى اليعقوبي في جمع تراجم شعرائه واشعارهم وضبطها سنين طويلة .

وللبابليات ـ قبل ان تطبع ـ حكاية اتينا على موجزها في كتاب (هكذا عرفتهم) ، وقد نشرت هـذه الحكاية في آخر كتـاب البابليات ، ورواهـا اليعقوبي نفسه بشواهدها[2] .

وخلاصة الحكاية هي ان الفكيكي قـد استعار من اليعقوبي مسـودة البابليات قبل تقديمها للطبـع ، وكان الفكيكي لم يزل يومذاك المنفـرد في كربلاء وقد علم علي الخاقاني بهذه (المسودات) عند الفكيكي فجاء راجيـا ان يعيره مسودة البابليات سواد ليلة واحدة لمجرد الاطلاع عليها ، والخاقاني صديق للفكيكي وموضع ثقته على ما يستبان من سهولة حصول الخاقاني على

---

(١) اي الصندوق .
(٢) هكذا عرفتهم ج٢ ص١٦٧ .

مسودة (البابليات) ومن اعتراف الفكيكي بهذه الصداقة كما ورد ذلك في مقال الفكيكي نفسه .

وفي تلك الليلة التي تمت فيها استعارة البابليات من لدن الخاقاني ، شمر الخاقاني عن ساعد الجد ونقل من البابليات تراجم طائفة من الشعراء ثم بدأ بنشرها باسمه كما لو كان هو جامعها ومحققها والعاثر عليها في الخبايا والزوايا من بيوت أهل العلم ولاسيما بيت القزويني وآل عوض ، ثم الف الخاقاني بعد ذلك من هذا الذي نقله من البابليات ومما قد جمعه هو كتاب (شعراء الحلة) .

وحين اطلع اليعقوبي على تراجم تلك الجمهرة التي كان قد حققها بنفسه وكتبها بقلمه ، وترجم لاصحابها حسب تتبعاته ، والتي ليس بمقدور أحد ان يحققها على هذا النسق غيره .

أقول وحين اطلع اليعقوبي على هذه السرقة العلنية جنّ جنونه وجرى بينه وبين الفكيكي عتاب وملام تعرض له كتاب (هكذا عرفتهم) في موضوع : (كيف عرفت اليعقوبي) ، وحين اشرت أنا الى هذه القصة باقتضاب في جريدة (البلد) قامت قيامة الخاقاني وانكر ذلك وعزاه مني الى الكذب والتلفيق ناسياً ان الشيخ اليعقوبي هو الذي اورد قصة هذه السرقة مطبوعة في آخر كتاب (البابليات) ، وان الفكيكي نفسه قد أيد اليعقوبي على ما اورد من حديث السرقة ، واندفع الخاقاني يقول في تعليقه على موجز ما اوردته أنا عنه[1] .

« ان الاستاذ الفكيكي المعروف بسلامة قلبه وحبه للعلم والعلماء والادب والادباء كان يحرص على دفع الشيخ اليعقوبي لابراز (بابلياته) وما في صندوقه بمختلف الاساليب ، وانه كتب في جريدة الهاتف وغيرها[2]

---

(١) جريدة ـ البلد ـ بغداد العدد ٤٦١ والتاريخ ١٩٦٥/١١/٢٥ .

(٢) الصحيح انه لم يكتب عن صندوق اليعقوبي في غير الهاتف على ما نعلم .

المقالات المتعددة لهذا السبب ، وأخيرا بعد ان عرف اني عزمت على اخراج موسوعتي (شعراء الحلة) في خمسة أجزاء ذكر لي[٣] ان لديه دفترا صغيرا اشتمل على أربعين ترجمة أو أكثر فاطلعني عليه ، وعندما قرأته رأيته يشبه ما مرّ علي خلال قرائتي ونقلي من الموسوعة الكبرى (الحصون المنيعة) للشيخ علي كاشف الغطاء والد الحجة الاكبر الشيخ محمد الحسين ، فارجعته له ، وطلبت منه ـ أي من الفكيكي ـ ان يكتب مقالا !! يتهمني فيه !! لأجيب عليه !! وبذلك يجد المرحوم اليعقوبي نفسه تجاه الامر الواقع فيضطر لاخراج ما عنده ، ويبعث بابلياته التي ألفها خلال ثلاثين عاماً كما كان يقول !!

« وفعلا طلع الفكيكي علي بمقالة نشرها في جريدة الاستقلال ـ لا في جريدة الاخبار كما قال الخليلي ـ وفيها يقول بان الشيخ الخاقاني غار على بابليات اليعقوبي وانتحلها .. !! » الى آخر المقال الذي كتبه الخاقاني في جريدة البلد .

وضحك الكثير ممن كان قد وقف على القضية وممن لم يقف ، لهذا اسلوب العجيب الغريب من الدفاع بان يرضى انسان ان يضع نفسه موضع الاتهام بالسرقة ، والاعتداء على حقوق الآخرين ليس لشيء الا ليحمل اليعقوبي على ان ينشر ما هو في صندوقه ؟ ثم ما قيمة هذا الاتهام لكي يحمل اليعقوبي على فتح صندوقه وينشر منه بابلياته ؟

وقل لي البعض : لِمَ لم تكلم الفكيكي ليبدي رأيه فيما اذا كان الذي يقوله الخاقاني صحيحاً ام غير صحيح ؟ وهل انه قد جرى بينه وبين الخاقاني مثل هذا الاتفاق العجيب الغريب الذي يرضى احدنا ان يتهم نفسه بالسرقة لا في سبيل احقاق حق ، ولا نجدة منكوب ، ولا اغاثة ملهوف ، وانما لكي يظهر اليعقوبي من صندوقه ما يكتنزه من الشعر والادب اذا جاز ان يكون

---

(٣) اي الفكيكي .

مثل هذا الاتهام صالحاً لحمل اليعقوبي على فتح الصندوق ؟

فقلت اني لن افعل ذلك ولن اكلم الفكيكي بهذا الخصوص لاني غير عابىء بما قيل ويقال في هذه المسألة وقيمة قائلها ، ولأني من اعرف الناس بالفكيكي وغيرته على الحق والحقيقة ، وان بامكانه ان يردّ هو ويعلق على مزاعم الخاقاني والاتفاق الذي جرى بينه وبين الخاقاني اذا كان هناك اتفاق كما يقول الخاقاني .

فقيل لي : ومن يدريك ان الفكيكي سيطلع على ما كتب الخاقاني لكي يقول ما يعرف عن هذه المسألة ؟

قلت : اني اعرف ان الفكيكي لا تفوته قراءة أكثر ما يجد في عالم الادب يومياً ليس في العراق وحده وانما في الاقطار العربية الاخرى وعلى الاخص ما تنتجه المطابع من الكتب والمؤلفات ، وعلى فرض انه لم يقرأ ما كتبه الخاقاني فلست بسائله ان يقرأ ما كتبه ، ولست بساع الى تنبيهه الى ذلك .

وقيل لي ان الفكيكي يقضي من كل يوم ساعات طويلة في مكتبة الخاقاني فلم لا تحتمل انه سيغض طرفه وسيشيح بوجهه عما كتب الخاقاني اكراماً له ؟

فقلت : هذا كلام يجوز ان يقوله الناس في غير امثال الفكيكي ، فوالله ما عرفت في الرجل من الضعف والتخاذل عن نصرة الحق ما يجيز ان يقال فيه مثل هذا القول .

ولم اكن مخطئاً فيما رأيت اذ لم تمر أربعة أيام ، أربعة أيام فقط حتى طلع علينا الفكيكي بتعليق على كلمة الخاقاني ضارباً بالصداقة عرض الحائط في سبيل دعم الحق ونصرة الواقع ، ونشر تعليقه هذا في العدد ٢٦٤ وبتاريخ ١٩٦٥/١١/٢٩ من جريدة البلد وهذا هو نصه :

حـــول الوســـاطة بـــين

الاستاذ الخليلي والشيخ الخاقاني

« الاستاذ الخليلي من اخلائي ، كما ان الخاقاني من أصدقائي ، وقد قرأت من قريب تعقيب الخاقاني على مقالات (ابي فريدة) الخليلي ، حول قصة صندوق اليعقوبي رحمه الله تعالى ، تلك القصة التي كنت آثرت فيها معركة قلمية بشأن ذخائر وماثر (ابي موسى) الفقيد الغالي في جريدة الهاتف ، المحجوبة ، وجرى حولها تعليقات أدبية من المنثور والمنظوم ، وليتها تطبع الآن ، لما تضمنت من الظرافة والطرافة .

« ولاجل الحق والتاريخ أقول : ان الاستاذ الخليلي لم يغمط الحق والحقيقة فيما كتب عن تلك المعركة (كذا) ولم يتعمد اتهام الصديق الخاقاني (كذا) بسرقة مجموعة (البابليات) الخطية (كذا) ، وكانت ـ أي البابليات ـ تقتصر على ترجمة ٦٠ شاعرا من أصل ١٢٠ ، وانما حكى ـ أي الخليلي ـ ما وقع من استعارة ابي بيان (الخاقاني) لتلك المجموعة لتكملة ترجمة الشيخ علي عوض فأخذها ليلا وأعادها لي صباحا ، ولا أدري بعد هل قام بأستنساخ المجموعة كلها ام اقتصر على حاجته منها ، بيد ان المرحوم اليعقوبي بعد ان اطلع على ما نشره الخاقاني عن حياة الشيخ علي عوض في مجلته (البيان) ثارت ثائرته حيث وجد الترجمة منقولة بنصها عن مجموعة البابليات دون الاشارة الى ذلك (كذا) وقد عاتبني رحمه الله بكتاب فأجبته عليه ، وشرحت له حقيقة الحال ، وعلى اثره كتبت مقالا استنكرت فيه عمل الصديق الخاقاني (كذا) .

« ولم يكن ما اقدم عليه (الخاقاني) نتيجة اتفاق ومؤامرة بيني وبينه لتحريك اليعقوبي على نشر ذخائر صندوقه كما ذكر ـ الخاقاني ـ في رده على الخليلي ، وهو واهم كل الوهم (كذا) . » الى آخر المقال الذي تناول موضوعات أخرى غير ذات علاقة بهذا الموضوع .

وعند قراءتي هذا التعليق والرد من الفكيكي الذي فند فيه جميع أقوال صديقه الخاقاني تلفنت للفكيكي لأطري فيه هذا الخلق الرفيع الذي جعل قدر الصداقة عنده يتضاءل ويتضاءل حتى ينمحي وجوده بالمرة حين يشخص الحق والعدل والمروءة امام عينيه فينسيه انه كان صديقاً للخاقاني وينسيه انه كان يقضي معظم وقته في مكتبته ، لان الحق عند الفكيكي وامثاله من المتشبعين بروح العدل احق ان يتبع في حياة الانسان الذي يفهم معنى الانسانية .

لقد تلفنت له فقيل لي انه يشكو وعكة تحول بينه وبين الرد على التلفون ، وفي مساء ذلك اليوم كنت عند الدكتور ضياء جعفر وكانت تربطه بالفكيكي رابطة محبة ومودة ، وكان الدكتور ضياء جعفر من أهم العناصر التي جاءت بتوفيق الفكيكي نائباً الى البرلمان يوم كانت السياسة تبحث عن وجوه جديدة فيها شيء من الكياسة واللياقة وحسن السمعة لترشيحه من قبل الكتل والاحزاب في انتخابات المجلس النيابي .

وعلم الدكتور ضياء جعفر بخبر وعكة الفكيكي مني فعرض علي ان تقوم بزيارته وعلى ان الوقت لم يكن مناسباً اذ كانت الساعة في نحو العاشرة مساء فلم امانع وهكذا ما لبثنا ان طرقنا الباب ودخلنا البيت ونحن لم نطمع بأكثر من ان ندخل عليه في غرفة منامه فنسأل عنه ونحن وقوف أو شبه وقوف عند سريره فنتمنى له الشفاء ونعود .

وبعد دقائق من انتظارنا في غرفة الجلوس لكي يؤذن لنا بالدخول عليه اذا بالباب يفتح ويدخل علينا هو مرحبا يتهلل وجهه بشرا ، وقد أبدى أسفه لانه لم يعرف اتصالي ببيته تلفونيا في ذلك اليوم الا بعد انتهاء المكالمة التلفونية ، وهنا باركت له هذه الروح وهذه النزعة التي يجب ان يعتز بها الحقوقيون من رجال القضاء والادباء الذين يريدون ان ينهج الناس مثل هذا النهج لينسوا كل شيء في سبيل الحق والحقيقة ، وقد ردّ علي ولا تزال

فحوى كلماته ترن في اذني بانه لم يكتب ما كتب انتصارا لي ولا تنديدا بالخاقاني فهو يعلم ـ على ما قال وأكد ـ باني في غنى عن هذا الانتصار والتأييد ، وانما اندفع بداعي جبلته الشرعية والقانونية التي تفرض على الحاكم والقاضي ان لا يستجيب لغير الحق عندما يدعوه ضميره لان يقول شيئاً ، أو يفعل شيئاً ، ولذلك ـ قال ـ تراني قد كتبت الكلمة بصيغة الحكم والقرار لا بصيغة التعليق والمقال التي تستلزم ان يصحب الرأي كثير من الرتوش والحواشي والتزويق الذي يستدعيه البديع ، وتقتضيه فنونه .

* * * *

قلت ان صلتي بالفكيكي قد توثقت أكثر في النجف ، وانتقلت هذه الصلة الى أسرة الهاتف العلمية وصارت له بالكثير منهم معرفة ومحبة ، وقد اتفق لحسين مروة ، وكان يومذاك قد جاء من لبنان الى النجف ليدرس الفقه والاصول ويحصل على درجة الاجتهاد ، وقد كان حسين مروة من أبرز اسرة الهاتف القلمية وانشطها ، وذلك لعلو كعبه في الادب والانشاء .

أقول لقد اتفق لحسين مروة ان ينسى تجديد اقامته ، أو انه لم يكن يعرف ما كان يترتب على الغرباء عند انتهاء مدة اقامتهم ، وكان قد مر على ذلك زمن قد يكون طويلا ولم يسع لتجديد الاقامة ، حتى اذا راجع دائرة الشرطة ذات يوم أحالت الشرطة قضيته الى محكمة النجف التي كانت قد نيطت قضاياها بالفكيكي وكالة لتغيب حاكمها ، فكان الفكيكي يقدم النجف من كربلاء في يوم معين من كل أسبوع للبت في الدعاوى التي تعرض عليه ، وكانت قضية حسين مروة من ضمن القضايا التي عرضت على محكمة النجف في أثناء وكالة الفكيكي لينظر فيها في اليوم التالي ، وخشي حسين مروة ان لا يكون بوسعي مقابلة الفكيكي في اليوم التالي لتوصيته بخصوصه فقد اقترح علي زيارة الفكيكي بكربلاء في هذا اليوم تداركا لما قد تنجم عنه قضيته في المحكمة غداً .

وقضية (الاقامة) قضية لا تستحق بأي وجه من الوجوه ان تسمى قضية لتفاهتها وعدم اهميتها ولكن الذي يعرف حسين مروة يومذاك ويعرف مبلغ حيائه واستنكاره ان يدخل قاعة المحكمة ، وتهيبه السلطة وأرباب السلطة لا يستغرب منه القلق والجزع في وقوفه امام الحاكم وهو معتمر بالعمامة ، وقابع بالعباءة لذلك راح يلح علي بالسفر الى كربلاء لمواجهة الفكيكي في مساء ذلك اليوم مستصحبا اياه وعلى ان نعود في نفس المساء الى النجف .

ورأيت من باب الاحتياط والاطمئنان من وجود الفكيكي ان اتصل به تلفونياً لاعلامه بزيارتي له ساعة وعودتي في نفس اليوم ، فألح الفكيكي ان يكون عشائي عنده في هذه الليلة فقلت له : ولكنني غير قادر على اجابة الطلب ولكنه ظل يلح ويستفسر عن سبب الامتناع ، فقلت له ان بعض الاصدقاء يحاول ان يزور معي كربلاء وانني مرتبط بهذا البعض والعودة معاً ، فقال : بل ان ذلك ادعى لتناول العشاء عندي .

وهكذا كان ، فقد قصدنا الفكيكي ونحن أربعة أو خمسة كلهم من أعضاء اسرة (الهاتف) القلمية وكان في مقدمتهم حسين مروة .

وفي بيت الفكيكي امتدت لنا مائدة سخية بالفواكه ظنها البعض انها العشاء الموعود فراحوا يتنادرون ويتغامزون في غفلة من الفكيكي كلما وجدوا الى ذلك سبيلا ويقولون : ان الفكيكي قدم لهم (المجوعات) بدلا من المشبعات .

وطال مجلسنا بالحديث وحين مرت الاشارة الى قضية حسين مروة تلقاها الفكيكي بشيء يشبه الهزء والسخرية وعدم المبالاة ، وقال : ان مثل هذه الامور توافه لا قيمة لها في عالم الحق والعدل ، فقلت له : ان الشيخ حسين مروة لا يهمه من الامر الا ان تكون العمامة محترمة فلا يقف صاحبها أمام الحاكم موقف المجرمين المذنبين .

فقال :ـ انني اقدر هذا الشعور ، واعطي صاحب هذا الرأي كل الحق وكم والله سعيت ان اجعل لهؤلاء الذين يمثلون أمام القضاء من أرباب الحشمة والعلم والادب حرمة آلت بي الى ان أنظر في دعاواهم في غير القاعة المخصصة للمحاكمات احترازا وتجنبا من دخول العالم أو الاديب وامثالهما دخول قفص الاتهام قبل التأكد من احقية دخوله هذا القفص .

وأنا لم أنس رأي الفكيكي هذا وطالما رأيته يجري محاكمة البعض في غرفته الخاصة بعد ذلك فتذكرت نهجه .

اما احكامه فلا يدل على صوابها شيء أكثر من شمول الغالب الغالب منها بالتأييد من قبل مجلس التمييز ، ولما كان الفكيكي اديبا ، وأديبا بارعاً كان قراره في الحكم يأتي بليغا ومقنعا وواضحا حتى للذين لا يعرفون القانون .

وطال مجلسنا في تلك الليلة وحذرا من عدم حصولنا على وسيلة للرجوع ليلا الى النجف قمنا مستأذنين فقال الفكيكي :

ـ والعشاء ؟ أتريدون ان تذهبوا دون ان تتناولوا العشاء ؟

ومدّ الخوان ، وكان عشاء فاخراً جاء بعد تلك (المجوّعات) ، وهناك فقط كاشفته بما كان يدور في أذهان الاصدقاء من امر العشاء الذي ظن البعض انني حين رفضت اجابة طلبه في التلفون اعتاض عنه بالفواكه التي اطلق عليها الاصدقاء اسم (المجوعات) ، وصرنا نذكر ذلك في مختلف الاوقات والمناسبات .

* * * *

ودخل الفكيكي المجلس النيابي نائبا ، وفتح له مكتب محاماة عند رأس الجسر من شارع المأمون وصرت أزوره في مكتبه هذا في بعض الامسيات ، كما كان يزوره عدد من الادباء وجلهم من النجف وكربلاء ، وفي بغداد

اشتد اتصالي به لكثرة ما كنا نلتقي في بعض المجالس وكثرة زيارتي له وزيارته لي في مكتب الهاتف بشارع الرشيد وشارع الامين فاتيح لي ان اعرفه أكثر من ذي قبل كأديب ، وباحث ومحام ، وصديق ، وقد لاحظت فيه ما كنت قد لاحظت في بعض الاصدقاء من طهارة النفس والوداعة التي تأبى ان يبطن غير ما يظهر من الاسرار ولذلك قد يمتنع البعض ان يقول شيئاً أمام هذه الزمرة من أرباب النفوس المتفتحة المكشوفة الذين يؤاخذهم البعض على مثل هذا الانطلاق ، ويعذرهم البعض الآخر بسبب ما يلمس عندهم من الطيبة وطهارة النفس .

عاتب مرة الصديق التاجر الحاج علي البهبهاني على اذاعته سراً كنت قد أسررت به اليه ، فقال لي وهو يضحك :

ـ أنت تعرف انني كالقمع ما تلقي به في فمه ينزل من أسفله ، فعلى من تقع التبعة في ذيوع هذا السر ليت شعري ؟ أعليّ أنا أم عليك أنت ؟ ولكن الفكيكي كان يميز ما يجوز ان ينشر وما لا يجوز ، وهو لا ينقل خبراً يؤول نقله الى حدوث مشكلة من المشكلات بل كل ما في الامر انه كان يترك نفسه على سجيتها ولذلك لا يمتنع من ان يحدث سامعيه بما كان يقع في كواليس المجلس النيابي ، وما كان يدور في الاوساط السياسية يوم كان نائباً .

والفكيكي الى جانب ملكاته المتعددة ، وسعة باعه في البحث ، حلو النكتة يجيد حبكها ارتجالا ، ويرسلها عفو الخاطر ، واني لأذكر يوماً كنا أنا والشيخ محمدعلي اليعقوبي وقد التقيته مصادفة عند باب مكتب الفكيكي بشارع المأمون وهو يهم بالدخول فدخلنا المكتب معا ، وكان هناك زميل محام طويل القامة فارع الطول وقد تولى الفكيكي تعريفه بنا وتعريفنا به ولا أذكر الآن اسمه ، ولست أذكر المناسبة التي دعت هذا المحامي ان يصف الفكيكي بالقصير قائلا :

ـ تذكّر انك قصير يا أبا أديب .. قال ذلك وهو يضحك

فردّ عليه الفكيكي قائلا :ـ وأنت طويل ايها الصديق

وضحكنا هنا جميعا ، وسألني اليعقوبي : ما الذي كان يعوز الرجلين ان يقولا بعد هذا ؟

ـ قلت ليس ثمة شيء غير ان يستثنيا القول ويستدركاه

قال اليعقوبي : صحيح ... ثم راح اليعقوبي يستثني هـو القول قائـلا :

ـ كل قصير فتنة الا علي ، وكل طويل أحمق الا عمر .

* * * *

وشغلتنا الدنيا بمشاغلها فلم تعد نلتقي الا قليلا وفي فترات قصيرة ونحن على قارعة الطريق أو عند صديق يمر كل منا عليه مرورا طارئاً لا سيما وان بيتي في اقصى بغداد من كرادة مريم ، وبيته في اقصى بغداد من الاعظمية ، ومع ذلك فلم يتفق ان التقينا دون لهفة لمعرفة كل منا أخبار الآخر وشؤونه .

وفي صيف سنة ١٩٦٣ كنت اصطاف بسوق الغرب ، وان القادم من سوق الغرب الى بيروت لابد وان يمر بعين السيدة اذا سلك طريق عالية ، وكان المقعد في صدر السيارة ومقدمها لم يزل فارغاً من الركاب واذا بالفكيكي يصحبه أحد أولاده يوقف السيارة في (عين السيدة) ليشغل من السيارة مقدمها فاشيح بوجهي عنه لئلا يراني ريثما استطيع دفع اجرة ركوبه وركوب ابنه السيارة ، ثم افاجئه بعد ذلك بوجودي ، وذلك لان الفكيكي لو عرف بوجودي في السيارة لما تركني ان اسبقه في دفع الأجرة عني وعنه بالنظر لما عرف به من السخاء وما جبل عليه من كرم النفس ، وهكذا كان ، فما كدت أدفع الاجرة للسائق في غفلة عنـه حتى مددت يدي الى كتفـه من الوراء وهززته قائلا :

ـ انها لنعمة غير مترقبة ...

ودهش الفكيكي لهذه المفاجئة وراح يعيد علي نفس الجملة ويقول :

انها والله لنعمة كبيرة ان نلتقي هنا وعلى غير ميعاد .

وقضينا الطريق كله بالحديث عن الاحوال والصحة وراحة النفس ، فشكا لي ما يعاني من انحراف في صحته العامة ، وقال انه لا يكاد يشعر بشيء من الراحة النسبية يوماً حتى تنغص الامراض حياته أياماً ، وهو يقضي اليوم هذه الفترة من الصيف منتجعا بلبنان عسى ان يستعيد شيئاً من نشاطه الذي ذهبت به الامراض المختلفة .

ولم يكن يعني بالنشاط غير نشاط البحث والادب على ما اعلم من شدة انهماكه في البحث والتأليف ، وهو من القلائل الذين يزنون العمر بميزان المنفعة العامة وخدمة المجتمع دون ان يرجو اية منفعة أخرى ، وقد يستبين القارىء مبدأه هـذا وهدفه في حياته مما أنهى به مقـدمة كتابه الجليل : (شجرة العذراء يصورها أدب النخيل) اذ يقول :

« وحسبي ما قمت به من جهد في خدمة أبنـاء قومي الكرام ، وأملي باريحية الاحرار الاوفياء ان يذكروني بالدعاء بعد رحيلي الى جوار من تفرد بالبقاء وقد قال قبلي أحد الشعراء :

يا ناظراً في الكتاب بعـدي ... مجتنا من ثمـار جهـدي

لي افتقـار الى دعـاء ... تهديه لي في ظلام لحدي

والله تعالى يجزي المحسنين » .

* * * *

واستمرت شكواه من استفحال المرض طويلا ، ومع ذلك فقلما ترك القراءة والكتابة ، وكان يقول لي : انه يحس وهو يقرأ ويكتب بانه يتناول علاجا أقوى مما كان يتناول من العقاقير التي يعالجه بها الاطباء .

وآخر رؤويتي له كان قبل وفاته بنحو شهرين أو أكثر قليـلا من سنة ١٩٦٩ حين كنت اهم بالخروج من مجلس (الفاتحة) الذي اقيم لقبول

التعازي بوفاة الشاعر الصديق محمود الحبوبي ، فقد كان الفكيكي يقتعد كرسياً الى جانب صالح الجعفري عند الباب وهو المكان المخصص لأسرة الفقيد وبعض الاصدقاء المقربين ، وحين رآني الفكيكي قام في وجهي منتحباً وعزاني بالحبوبي كما لو كنت اقرب الاقرباء اليه ، وكنت انا المعزى دون غيري ، فبكيت أنا الاخر دون اختيار ، وقد ذكرني موقف الفكيكي مني بموقف الشيخ علي بازي في مجلس (الفاتحة) الذي اقيم للشيخ محمدعلي اليعقوبي ، فقد اوقفني البازي وأنا أحاول الخروج من المجلس ، وانتحب في وجهي وعزاني باليعقوبي •

لقد بكيت في وجه الفكيكي ولم ادر انني سأبكي عليه بعد شهرين أو أكثر قليلا •

وفي يوم من اوائل شهر آب من سنة ١٩٦٩ خرجت من البيت قاصدا مكتبي بعد انقطاع أسبوع من العمل بسبب ارتفاع ضغط الدم الذي يلازمني منذ عدة سنين ، وفي مكتبي رحت استعرض الصحف التي لم اقرأها في أثناء وعكتي واذا بخبر وفاة الفكيكي يسمل عينيّ فلم تعودا تريان شيئاً مما حولهما •

هذا هو الفكيكي يموت كما يموت الجميع ، ولكن من لي بمن يمحو هذه الذكريات التي خلفتها أربعون سنة وأكثر في صفحة هذا الذهن ، فها هو ذا ماثل أمامي منذ أولَ ساعة التقيته فيها بقهوة البيروتي الى آخر ليلة وأنا أخرج من مجلس (فاتحة) الحبوبي فبكيت ما شاء الله ان أبكي ، وقد بكيت على البازي يعلم الله ومرت كل خواطره في ذهني ولم تزل تمر ولم اوفق لتسجيلها فوق الورق •

وما اشقى الذين لا يجدون وسيلة يعبرون بها عن مشاعرهم غير الدموع ، وانا من هؤلاء الاشقياء في موقفي مع الذين ودعتهم الى غير عودة وكان من هؤلاء هذا الصديق العزيز : توفيق الفكيكي الذي لن انساه •

في أربعين الفكيكي

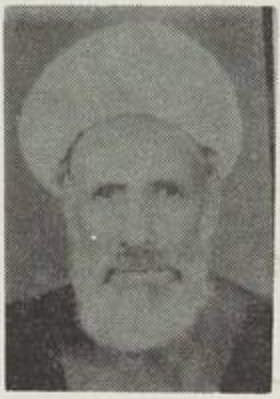

للشيخ عبدالمهدي مطر

هل في الممات لغاية تحليق ... فسما ليبلغ اوجها (توفيق)
ام في مفارقة الحياة لانها ... البتراء سر في الخلود عميق

ام ان عين المجد جف معينها ... فذوى بها غصن هناك وريق
وكأنه رمق الحياة بنظرة ... ان لا يراها للكرام تليق

فمشى الى الاخرى وعبد دربه ... بالصالحات لها فضاء طريق
فتحية لك من كريم راحل ... قد طوقت منه الرقاب حقوق

وكذلك الاخلاق تكسب ربها ... طيبا يفوح شذاه وهو خلوق
فرحلت لم تترك ورائك ناقما ... عاداك الا عاد وهو صديق

نفس يمازج كل قلب ذوقها ... عذباً وطبع في الحياة رقيق
قد اودعت لك في القلوب مآسيا ... لا ينطفى لضرامهن حريق

فليومك المشهود أججج حرقة ... تدمى العيون مقامك المرموق
أفبعد زهرتك التي تجلى لنا ... يبدو بأفق سمائنا العيوق

ولقد ذكرتك يوم شبت بيننا فتن وساد بافقنا التفريق
فالجار يعبث ما يشأ بجاره وكذا الصديق يطيح فيه صديق

فسلكت مسلكك القويم فلم يمل بهواك تغريب ولا تشريق
ونهجت منهجك السليم من الاذى ما فيه تصدية ولا تصفيق

اعظم بنفس حرة لم تنزلق بمزالق فيها الكثير زليق
وفداك قوالون لم يشفع لهم في القول من افعالهم تطبيق

نفس على الصدق الصراح تعودت لم يغزها التحريف والتلفيق
فلقد ابى لك مجد نفس حرة ان لا يفوتك في العلى تفويق

ولقد نماك الى العروبة شامخا نسب باعراق الفخار عريق
وغدى يشدك بالنبي وآله حبل بامراس الولاء وثيق

يا زينة النادي اذا اكتضت به منه الجوانب بالأباة تضيق
وتنصتوا للمنطق العذب الذي يمليه منك مفوه منطيق

متتابع الحلقات تحسب انها آي ينظم عقدها تنسيق
صلب الارادة غير ان ورائها قلب بعاطفة الحنان رقيق

واذا التوى الوجدان ذابت دونه ذمم وضاعت انفس وحقوق
من لم يزل باسم العدالة صارخا حيث العدالة صوتها مخنوق

فتفتحت سمعا وكانت قبله صماء تغفو تارة وتفيق
ومن الثقافة وهو بيت قصيدها قد كان يسمو غيره ويفوق

يسقى بها النشىء الجديد كفارس الازهار يملأ دلوها ويريق
فيعيد للنشىء الجديد رواءه بعد الذبول فيزدهي ويروق

عفوا اذا انتقل الرثاء لموقف تحنى الصدور لهوله وتضيق
المسجد الاقصى وداست تربه قدم ملوثة الطباع مروق

وتصاعد الحق الدفين بغضبة ... منهم عليه فشب فيه حريق
اعظم بـه من حادث لأنوفنا ... جدع بـــه ولهامنـا تفليـــق

فسلاح من نهبوا الديار اسنة ... وسلاحنـــا التهريج والتصفيق
ونعـود نفـزع للبكاء كـأنه ... فتح نزيل به العدا ونسوق

لا صوت اعلان الجهاد مدوياً ... في الافق نسمعه ولا التسويق
كلا ولا المنصور من اعلامنـا ... يورى الضرام بها ولا البطريق

يتناومون وعين من داس الحمى ... يقظى بلاعبها الهوى المرموق
وطئوا الديار فلم تهجهم زجرة ... منا ولم يزعجهـــم تطـويق

فالمسلمون فتاتهـم محطـــومة ... وبنو المسيح صليبهم مشنوق
والعرب تستن الطريق مخبة ... قد طال فيها دربها المطروق

ترعى الوعود الكاذبات الم يكن ... مل الوعود حسامها المشوق
كانت تحفزها الفتوح فتنتشى ... لا الكأس تسكرها ولا الابريق

ما بالها عـادت يشيم طعانهـا ... خور ويثلم حدهـا التفريق
فالقدس ام الفاتحين فأن هم ... جهلـــوا مكانتها فذاك عقـــوق

والموت اولى ان تعيش بذلة ... أمم لماضيهـا المجيـــد بريق

ذكرى أبي أديب

بقلم : الأستاذ السيد محمد حسن آل الطالقاني

لبعض الاحداث والاعراض أماكن خاصة قد لا تقع في غيرها ، ومواسم لا تعرف في سواها ، ولبعض الامور مناسبات وسوق تختلف بين الآونة والاخرى من رواج الى بوار ، يفيد بعضها بالكم والكيف ، ويختص الآخر بالزمان والمكان أو ما عداهما من الظروف والاسباب ، الا الموت ... فليس له مكان خاص أو ظرف معين ، أو مناسبة معروفة أو سبب معلوم ! فهو عمل لا يصاب بالتوقف ، ولا يعتريه الكساد ، وأمر لا يعرف التراخي ولا يتسرب اليه الفتور ، فالليالي والايام في تعاقب مستمر ، والسنون متوالية بعضها اثر بعض بانتظام ، ودولاب الزمن يسير بسرعة متناهية فيطحن الاجيال واحدا بعد واحد ، ومركبة الحياة تسير مغذة فتسحق ما يعترض طريقها دون أن تبقى له أثرا يدل عليه ، وتعبد الطريق للآتين لتفعل بهم كفعلها بالماضين ،

وينتهي المسير بهذه البشرية ـ أخيرا ـ الى ذلك العالم المظلم حيث الرقدة الابدية الى يوم يبعثون !! .

ان كلا منا يسعى بقدميه الى الموت شاء أم أبى !! ويجد في السير ليقرب من القبر شعر أم تغاضى !! والكل منا مكره على هذا السير ؛ لانه ينتهي الى غاية ينخلع من ذكرها قلبه ، وترجف من هولها جوارحه ، لكنه لا يملك القوة التي يدفع بها عن نفسه ما يكره ، والوسيلة التي ينجو بواسطتها من هذا الهول ، فكل القوى والوسائل تتحطم بتصاغر وذل أمام تلك القوة الهائلة (الموت) ، ولن يستطيع كذلك أن يحول اتجاهه ويغير طريقه ، فلابد له مهما فعل من الانتهاء الى تلك الغاية ، فالموت (نقطة الدائرة) و (المحور) الذي يدور الانسان حوله لينتهي اليه ، وهو في الوقت نفسه (نقطة البداء) نحو حياة أخرى باقية يرفل فيها الانسان بالسعادة والنعيم أو يخلد في العذاب الاليم ، أو يبقى ثمة بين بين !!

ولو تأمل الفرد قليلا ورجع بفكره الى الوراء ، واستعرض الوجود التي فقدها تباعا ، والذوات التي امتزج بها طويلا ، وكان فيها العالم الكبير ، والحكيم العبقري ، والشاعر الرقيق والحاكم المطلق ، والثري المتخم والفقير المعدم ، والاخ الشفيق والولد العزيز ، والرحم القريب والتلميذ البار ، والجار النبيل والخادم الامين ، وغيرهم ممن فرق بينهم وبينه الموت ، وحجب وجوههم عنه التراب ، وعادوا أثرا بعد عين ! وحدثا هو الى الاسطورة أقرب منه الى الواقع ! يمر على قبورهم وكأنهم لم يكونوا بالامس القريب ، والقريب جدا ، يسامرونه ويؤاكلونه ، ويخالفونه ويوافقونه ، فيجذبهم اليه رأي وتبعدهم عنه فكرة ، لقد ذهبوا فصار ينقل أحاديثهم ووقائعهم للعبرة أو التفكه ، ويستشهد بآرائهم وأقوالهم وآثارهم وكأنه يتحدث عن عاد وثمود لا عن خلطائه وجلسائه بالامس .

أقول لو فعل الانسان ذلك ـ ولن يستطيع ـ وتمكن أن يتمثل صورهم

ويستحضر أشخاصهم وأطوارهم وما جرى عليهم وعليه مجتمعين ومتفرقين – ولن يتمكن – لانفجر دماغه من ساعته ولحق بهم في وقته ، لكن نعمة الله الكبيرة المجهولة (النسيان) هي التي جعلتـه يعيش كذلك فينعم ويمرح ، ويجد ويكدح ، ليدبر شؤونه ويكيف نفسه ، اذ بدون تلك النعمة لا تستقيم الحياة ولا ينتظم شمل العالم ويستمر نظام الكون ... وها هو الفرد منا يبدو وكأنه لم يمن بخسارة ولم يصب بفقيـد ولم يخلق للموت ولا يسـير الى الفناء ! وكأن لم تكن حياته سلسلة آلام تبدأ بأنين الميلاد وتنتهي بأنين الموت (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلا) .

وهكذا تخمد الذوات المتقدّة ، وتنقطع الحركات العاملة ، وتتلاشى البسمات العميقة ، وتذوي الاجسام الناضرة ، فلن تسـمح الحياة للانسـان بالدوام ، ولن تبقى على حال ، وهي العطبول التي لا تصل هذا الا بجفاء ذاك ، ولا تجفو ذاك الا لتصل هذا ، كما يقول الشريف الرضي . فالعمر وان طال والحياة وان زهت لابد أن يدب اليها الخريف فتذبل أوراقه وتتساقط الواحدة تلو الاخرى .

لقد فقدنا الكثيرين فيما مضى ، وسنفقد الكثيرين بل الباقين من ذوينـا ومعارفنا فيما يأتي ، ثم يفقدنا من يخلفنا ويصير الى مثل ما كنا فيه من نسيان للاخوان والاصحاب والخلطاء ، وينتقل ما بين طلوع الشمس الى غروبها في كل يوم من عالمنا الى العالم الآخر ألوف مؤلفة وصنوف شتى من بني الانسان في أرض الله الطويلة العريضة ، ولا يشعر بفقدان كل منهم في الغالب غير ذويهم ، ولا يتركون أثرا أو يحدثون فراغا ، فهم مصداق قول المتنبي في ابن كيغلغ :

ان مات مات بلا فقـد ولا أسف أو عاش عاش بلا خلـق ولا خلق

وثمة في مخلوقات الله الكثيرة فرد يروع موته أمة بأسرها ويترك بعده ثلمة من الصعب سدها وقليل ما هم ، واولئك هم العلماء والمفكرون ، ورجال

الثقافة والادب ، وفرسان البيان والمعرفة ، وحملة مشاعل الفضيلة والكمال ، وأبطال الوطنية وأعلام الجهاد ، ... وهم في الغالب أعداد يسيرة وأنفار معدودة ... ومن جملة الافاضل الذين روع موتهم الكثيرين وترك ثلمة كبيرة فقيدنا الغالي وصديقنا العلامة الاستاذ توفيق الفكيكي رحمه الله .

كان من أصدقائنا الاعزاء واخواننا الاكارم وذوي الود الخالص والمحبة الصادقة ، حريصا على الوداد حين ضاع وسخيا بالوفاء حين عز ، ومن عادتنا كلما فجعنا بعزيز أو نعي الينا صديق أن نعود الى صورته المهداة بخطه أو الملتقطة لنا معه ، والى رسائله التي كتبها لنا عبر أيام الصحبة وخلال فترة الصداقة ، لنعيش مع اخواننا الذاهبين ولو لحين ، ولنذرف على المفقود دمعة الوفاء ، وهكذا كانت الحال بالنسبة لأبي أديب فعندما وصلنا خبر وفاته لم نفزع منه كثيرا لاننا نعلم منذ مدة أن المرض الذي أصابه لاشك قاتله ، ولكننا عدنا الى صورته ورسائله ومقال له كتبه عن (ديوان السيد موسى الطالقاني)[1] نتصفحها فاستغرق فكرنا فيما سجل من خواطر ودوّن من آراء وكتب من نوادر وملح وفرائد وفوائد ، وظللنا نجتر الذكريات ونلتمس العظات ، ولم يكن من السهل على الخاطر وقد امتلأ الفكر والبصر بالذكريات أن ينصرف عن الذهن ذكره .

عرفت الفكيكي أول ما عرفته عن طريق مؤلفاته القيمة ومقالاته الكثيرة في مختلف المواضيع ، لا سيما في المجلات النجفية ، فقد كانت له صلات وثيقة بعلماء النجف وأدبائها اذ سبق له وان اشتغل حاكما فيها فترة قبل أكثر من ثلاثين سنة ، ثم تعرفت عليه شخصيا عام ١٩٥٦ وتوثقت بيننا المودة فكنا نزوره في بيته في الاعظمية ، وفي مجلس البرلمان عندما كان نائبا فيه ، وفي غرفة المحامين والمحاكم في وزارة العدل ، ونلتقي به عند أصدقائنا وأصدقائه في بغداد ، وقد سبقه الى لقاء الله منهم الشاعر الكبير خيري

---

(١) مجلة (المعارف) العدد/٤ ـ ٥/السنة/١ ص١٠٠ ـ ١٠٩ .

الهنداوي[٢] ، والاستاذ الجليل ابراهيم الواعظ رئيس هيئة التفتيش العدلي العام في وزارة العدل[٣] ، والعلامة العبقري الشيخ علي الشرقي[٤] والاستاذ اللوذعي أمين خالص[٥] وغيرهم رحمهم الله ، ومن الاحياء الشاعر الكبير حافظ جميل وكان يومها معاونا المدير البرق والبريد العام وغيره من الافاضل والنابهين ، وكان يتفقدنا عندما يهبط النجف زائرا أو متشيعا لجنازة ، أو موكلا في دعوى مهما ضاق عليه الوقت حتى ولو بالاتصال التلفوني ، ولنا معه لقاءات واجتماعات وذكريات في مناسبات عديدة وأماكن مختلفة غير ماذكرنا، أما رسائله فلدينا منها عدد يساوي ملفا خاصا .

لقد كان أبو أديب محدثا لبقا طلق اللسان جميل العرض جذاب الاسلوب ، تسمع منه القصة والنادرة مرارا وكأنك لم تسمعها من قبل ، وكان دقيق النظر يستقصي أطراف الموضوع ويستبطن دخائله ، وهو من الرجال القلائل والنماذج النادرة في معارفه وجامعيته ، ومن رجال الاختصاص الذين برعوا في حقل اختصاصهم ولم تقف بهم هممهم عند ذلك بل شاركوا في فنون أخرى ومعارف مختلفة ، وقد امتاز الفقيد بمواهب أدبية وعني بدراسة الادب عنايته بالقانون ، وصدرت له دراسات علمية ممتعة وآثار أدبية ممتازة ، ومؤلفاته بصورة عامة تدل على قوة الانتاج وعمق الفكر ، وتنطق بعلو ثقافته وعبقريته وابداعه ، وهي تظهر ثقافته الواسعة واطلاعه

---

(٢) توفي ليلة ٢٨/٢٩ كانون الثاني عام ١٩٥٧ ونقل الى الدفن فدفن فيها .

(٣) توفي يوم الاثنين ١٩ ذي الحجة ١٣٧٨هـ المصادف ١٩٥٨/٧/٧ قبل ثورة تموز باسبوع ودفن في مقبرة الامام الغزالي في بغداد .

(٤) توفي يوم الثلاثاء رابع ربيع الثاني عام ١٣٨٤هـ المصادف ١٩٦٤/٨/١١ ونقل الى النجف فدفن في وادي السلام .

(٥) توفي يوم الاربعاء (٢١) ربيع الأول عام ١٣٨٥هـ المصادف ١٩٦٥/٧/٢١ .

الجم والمامه بكثير من مسائل الفلسفة والاجتماع والادب والقانون والاقتصاد وغيرها ، وكتابه (الراعي والرعية) نموذج عال لدراساته وبحوثه العميقة في التحقيق العلمي الحديث فقد أعانته قابلياته على تبسيط العهد واخراجه في حلة رائعة • وتدل آثاره الادبية والتاريخية وغيرها على روحه القومية الوثابة ورغبته الدافعة الى استكناه أسرار الحضارة العربية وعرضها للشباب العربي المعاصر بأساليب البحث الجديدة • وكان كبير القدرة بارعا في الخصومات الادبية شديد المعارضة حديد القلم يقرع صاحبه بالحجة والتهكم معاً ، ولو أنه خلص للأدب والنقد لأتى بالعجب العجاب •

ان فقد العلامة الفكيكي يعتبر خسارة كبيرة لانه يعد بحق من علماء الادب ورجال القانون العراقيين البارعين ، وان آثاره العديدة وتركته الادبية القيمة كفيلة باخلاد ذكره وضمان حياته الابدية الباقية ، وهو حي بمؤلفاته وأولاده لاسيما الدكتور أديب الفكيكي والاستاذ هاني الفكيكي ، وأملنا كبير بأن يبادرا الى نشر آثاره التي لم تطبع لاطلاع المثقفين على جوانب حياته الاخرى ، لا سيما كتابه (هشام ابن الحكم) و (القومية الاسلامية أو جنسية القرآن) وغيرهما من النفائس •

هذا بعض ما عنّ ذكره عن الصديق الفقيد في زحمة العوارض الصحية والمشاغل ، اما ترجمة حياته وتحليل ملكاته وسائر صفاته فلاشك أن لجنة التأبين وسائر المحتفلين سيؤدون حقها في فصول طويلة •••

رحم الله الاستاذ الفكيكي ورحمنا يوم نساويه ، وانا لله وانا اليه راجعون •

ايه توفيق !

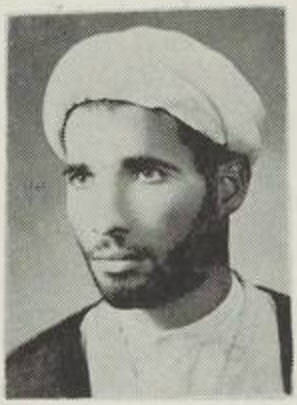

للشيخ محمد رضا آل صادق

قلبك الطهر ما ازال اراه نابضـــا بالحيـــاة ما انقـــاه
كم غذاه الايمان اشهى غذاء يبهج النفس انه كم غذاه ؟!

وهداه النهج الرحيب فأضحى في طريق النهى مغذاً خطاه
ملؤه عزمة تشـــب ضراما ومضاءاً يقتـــاده لمنـاه .. !

قلبك الطهر ما دنا منه موت فهو ما انفـك دافقا في نداه
كل سفرٍ أمليته باليراع الحـق ما غـير ذوبه أمـــلاه ..

فالحروف التي بهـــا انسكب الوعي بريقـا من نبضه وصـداه
تهب الجيل رشده فاذا الافق مشع يمـور فيـــه ســـناه

* * * *

ايه توفيق انت في كل قلب عرف الخير فانبرى في مداه
لك في خاطر الزمـان ادكار لصنيع هيهـــات ان ينســـاه

جدت بالنبل ما احيلاه امّـــا جاد فيـــه الفتى وما أسماه
والخلال التي لديك ربيـع عاطر يفغم الحياة شـــذاه

* * * *

انت يا من وقفت نفســـك للفكر لتحيـا مفكرا انســـانا
خـــالد انت في تراثك تبنى فكراً حـرة تضيء الزمـــانا

انت حقا عرفت من هو راعٍ يمنح الناس رقـــة وجنـانا
انت جاهدت بالحمى ولعمري انه في النفوس أعظم شـــانا

ان عمراً خدمت قومك فيه لهو عنوان مخلص قد تفانى
كم تحملت فيـــه عبئا لتحيـا مطمئن الضمير حـــرا جنـانا

لم تلن عودك الاعاصير يوما بل تساميت همـــة وكيـانا
وتحـديتها بكـــل ثبـات ملهب ملء روحـك العنفوانا

قصدك الخير لم يحد عنه فذ فهو ـ اما طلبت ـ اسمى مكـانا
وهو درب الانسان يسلك فيه مؤمنـــا انـه ينـــال الجنـانا

مؤمنا ان كـــل غرس سقاه ورعـــاه سينشـــر الأفنـــانا
فاذا الارض مهرجان ظلال يتهـــادى نسيمهـــا نشـــوانا

* * * *

كل ساع وسعيه في حياةٍ هـي للناس معبـــر وممـــر
فالشقي الشقي من كان عبداً للهوى وهو في الذنوب يصرّ
يتمادى لم يدر ما فيه نفعٌ اذ يحث الخطى وما فيه ضر
والسعيد السعيد من سار فيها وهو في زحمة العواصف حر

خبر الدهر فهو بالخير ادرى وهو ادرى بما انطوى فيه شر
ليس يرتد عن امانيه مهما صده عن طريقه الرحب غِرّ

ولانت العظيم قدراً بيوم ليس منه عند الحساب مفر
هو يوم تبيض فيه وجوه ووجوه من هوله تكفهر

فهنيئاً ابا الاديب بعدن وجنان فيها النعيم يقر
حيث ودعتنا بقلب سليم فاض نبلا وانت انت الابر

وستلقى كما تشاء ثوابا حين يجزيكه النبي الاغر
وسلام عليك حيا وميتا وسلام عليك يوم تبر

توفيق الفكيكي

العالم ، الاديب

جوانب من حياته وآرائه

للأستاذ : أحمد حامد الشـربتي

كان فقيدنا الغالي ، عليه رحمة الله ورضوانه ، نسيج وحده في المآثر والمحامد ، وقد ضرب رقما قياسيا في الخلق العظيم : من صدق ، واستقامة ، وجرأة متناهية ، وصراحة ، ووفاء . أما في الوطنية ومقاومة الاستعمار فان مواقفه المشرفة فيهما لجديرة بأن تسجل بمداد الفخر والاعجاب . ناهيك انه كان عرضة لحبل المشنقة ، لولا لطف الله ورعايته ، وعانى ـ جـراء مقاومته هذه التي لم تعرف الهوادة ـ أهوالا رهيبة فما وهن لما أصـابه في

سبيل عقيدته ، وما ضعف ، وما استكان ، وانما صبر على المكروه ، واحتمله بطول أناته ، وسعة ذرعه .

أما ثقافته فكانت متعددة الجوانب ، فهو أديب ، وقانوني ، وباحث اجتماعي ، ومصلح ، وصحفي ، ووطني من الطراز الاول ، لا تغمز له قناة ، ولا يلين له عود ، ثبت الجنان ، رابط الجأش ، صادق البأس ... ، وهو خطيب مفوه ، ومحدث لبق ، يسحرك حديثه ، ويملك عليك عواطفه ... ربطتني واياه أخوة في الله صادقة ، وائتلاف روحاني عظيم ، ولا عجب (فان القلوب جنود مجندة ، تتلاحظ في المودة ، وتتناجى بها) .

ولما بدأت بتأليف موسوعتي الموسومة بـ (رجال عرفتهم ، وخواطر يدونها أصحابها) رجوته أن يزودني ببعض ذكرياته وخواطره ، ليفيد منها الجيل الصاعد ، ويكتسب الخبرة والدرس المفيد ، وتحفزه الى اختراق المصاعب وانتهاج معالي الامور ، دون كلل أو ملل أو احجام ، حتى تتحقق له آماله ، وتصدق أمانيه ، وتجيء اليه مذيلة بالنجح .

فاستجاب رحمه الله ، لمطلبي ، وزودني ببعض خواطره في ثلاثة دفاتر ، بلغ عدد صفحاتها ٨٥ صفحة ، واختتمها بقوله : « ان هذه الذكريات والتأملات والخواطر المتواضعة حررتها على طلب الاستاذ الكريم السيد أحمد حامد الشربتي ، ولم تكن مسطورة من قبل ، وهذه النسخة هي الوحيدة التي قدمتها لحضرته ، ولم احتفظ بنسخة أخرى لنفسي ، وأرجو أن تكون لديه في حرزٍ حريز » .

كذلك أهدى لي ـ اغدق الله عليه شآبيب رحمته ـ ما تبقى لديه من مؤلفاته التي يعتبر بعضها بحكم المفقود لنفاد نسخها وتعذر الحصول عليها .

ولقد دعاني واجب الاخوة والوفاء لهذا الرجل الوفي الصادق الكريم ، أن أتحدث عن جوانب من حياته المشرقة الحافلة بجليل الاعمال ، وأعرض

صورا من آرائه وفلسفته في الحياة .

عهد الصبا :

كانت صبوة فقيدنا الراحل ، عليه رحمة الله ورضوانه ، الوحيدة في زمن الصبا هي حب القراءة ، وتشتد منازعه صباح مساء الى التعلم ، وكان يشعر بنشوة الفرح كلما حفظ شيئا من أفواه الكبار أو القراء لم يعرفه أقرانه صبيان الجيران والمحلة . وقبل أن يعلم ما هي القراءة وأسماء الحروف كان يمسك بيده مجموعة أوراق ، ويلفظ في ساحة الدار بأشتات الكلمات ، لا تربطها رابطة ، ومختلف الادعية والصلوات التي تمر بسمعه من أبويه ، وكان مَنْ في الدار يضحكون من ثرثرته ولفظه ، ولم يترك جدارا من جدران الدار الا وسوّده بالفحم ، وكل اعتقاده ان الكتابة ما هي الا تخطيط الخطوط ، وتصوير الحيوانات والاشجار على القرطاس . ولما آنس والده منه هذه النزعة الجامحة والرغبة الملحة في حب التعلم ذهب به الى الملا (عبدالباقي) ومكتبه في محلة الشيخ بشار في الكرخ ، وبعد أيام معدودات هرب منه لما كان يعانيه من تعذيب بالفلقة من أجل الضريبة الاسبوعية المسماة بـ (الخميسية) التي كانت تقدم يومئذ للملا كل خميس لسد نفقات المكتب من حصران وماء واشباه ذلك ، عدا الراتب الشهري الذي جرى به العرف .

اما والدته فكان من رأيها أن يتعلم مهنة من المهن ، لان المهنة في نظرها (كالخاتم) في اصبع الانسان كلما أصابته بطالة يحركه فيجلب له الرزق . وكانت هذه الفكرة هي العقيدة السائرة بين طبقات المجتمع ، وما زال أثرها باقيا في العراق .

وبرغم الحاح والدته على ذلك فقد عصى أمرها وتمرد على ارادتها ، وأخيرا عجز عن مقاومتها لان والده وقف الى جانبها وصوب رأيها . فأخذته الى المرحوم (خليل الحداد) وهو جارهم ، فبقي يزاول بعض أعمال

الحدادة الاولة الطفيفة • وبعد شهر تمرد المترجم واعلن العصيان المدني على أبويه ، وذهبت محاولتهما ادراج الرياح ، لان هـذا العمل وغـيره من الحرف لم يشبع رغبته النفسية ، ولم يجد فيه المتع الفكرية واللذة الروحية التي يرجوها في تحصيل العلم والادب ، تلك الرغبة التي كانت تراود ذهنه صباح مساء •

ولما استيأس والده من اقباله على تعلم المهنة أخذه الى (الملا حميد) ، وقبل أن يصل الى سورة (الانفال) ترك مكتبه وختم القرآن على نفسه •

تحصيله العلمي :

ثم دخل المدرسة الابتدائية ، وواصل التحصيل حتى عهد الاحتلال ، وبعد الاحتلال بأشهر فتحت أبواب دار المعلمين ، فدخل دارها وتخرج معلما ومارس التعليم الى سنة ١٩٢٣ ، ثم دخل كلية الحقوق ، فنال شهادتها وامتهن المحاماة عام ١٩٢٧ •

أول من رفع العلم العربي في كرخ بغداد :

في عام ١٩١٨ صدر أمر وزاري بنقـل المترجم من مدرسة الكرخ الى مدرسة الكاظمين بسبب قيامه بالاشتراك مع المرحوم مدير المدرسة (ابراهيم عثمان) برفع (العلم العربي) علم الثورة العربية التي اطلق العرب فيها أول رصاصة في سبيل حريتهم واستقلالهم • وكان قامه بذلك لاول مرة في ربوع الرافدين وفي أثنـاء تمرين الطلاب على الاعمـال الكشـافية في ضـواحي الكرخ • وكان البوليس الانكليزي ينظر الى العلم باستغراب ودهشة مقرونة بالحنـق ، وعنـد الاستعراض العام في الرصافة استنكر الانكليز في وزارة المعارف رفع العلم العربي فصدر في اليـوم الثاني أمر تغريم مدير المدرسة المرحوم ابراهيم عثمان بـ (٧٠) روبية ، والاكتفاء بنقل المترجم الى الكاظمية •

اتصاله بالسيد الصدر :

وفي آخر سنة ١٩١٨ اتصل المترجم مع اخوان له من الشباب الوطني

بسماحة السيد محمد الصدر كبير زعماء الثورة العراقية ، وكانوا يختلفون الى داره في الكاظمين مرة في الاسبوع ، أو أكثر عند اللزوم ، لتلقي التوجيهات في بث الدعوة الاستقلالية ومقاومة سلطة الاحتلال . وكان المفوض (فارس الكربلائي) وهو أحد أفراد التحقيقات الجنائية لا يفارق ظل المترجم في أكثر الاوقات ، يغدو ويروح معه الى الكاظمية أحيانا . وقد اتخذ المترجم ورفاقه دارا قرب جامع الجعيفر يجتمعون فيه سراً ، وكاد فارس المفوض المذكور يكشف أمرهم ، لولا اتخاذهم التمويه والتضليل . وفي ذلك الظرف كلفهم الزعيم الصدر بحمل رسائل الى كل من المرحومين الشيخ ضاري رئيس عشائر زوبع ، والشيخ حردان (والد الشيخ مشحن الحردان) ، والى رئيس عشيرة أخرى معروف بفروسيته ووطنيته وعدائه الاحتلال وربما كان شيخ (المجمّع) . وقد قام المترجم ورفاقه بتدبير مهمة ارسال الرسائل مع قين ـ مبيّض الاواني ـ من سكان الجعيفر المخلصين المؤمنين ، وأخفوها بين طبقات حذائه . وكانوا يصرفون على مثل هذه الامور من دخلهم الخاص بفخر واعتزاز . وبعد وصول الرسائل لاصحابها وقعت حادثة قتل (لجمن) السياسي الانكليزي المعروف ، وقائد البادية الشهير بالجرأة والفروسية . وعلى أثر ذلك تلاحقت الحركات الوطنية حتى اشتعلت نيران الثورة العراقية على جنبات الرافدين بكل ضراوة .

وكان المترجم رحمه الله ممن اصطلى بنار تلك الثورة العظيمة ، واكتوى بمضاعفاتها ودخل السجون مرارا ، وكان في كثير من الاحيان قاب قوسين أو أدنى من الموت . وله في ذلك ذكريات مثيرة تضمنتها (مذكراته) ، وفيها تتجلى رجولته الحقة ووطنيته الصادقة بأجلى مظاهرهما . وكان بحق من الابرار المبرزين الذين شيدوا الكيان الوطني ، ورفعوا دعائم الحرية والاستقلال ، وجددوا شوامخ العروبة ومعالم القومية .

قضية الحجاب والسفور :

من المعارك الادبية الاجتماعية التي أثارها فقيدنا الراحل على صفحات جريدة « لسان العرب » قضية الحجاب والسفور • وقد اغلقت وزارة الداخلية باب المناقشات بين المحافظين والتقدميين بعد احتدام المعركة • وقد خلع المتطرفون على فقيدنا لقب (نصير الحجاب) ، وقد عقب المترجم على ذلك بقوله : « وفي الحقيقة كنت عدو التبرج الجاهلي ، وما زلت على رأيي • فكنت جديرا بلقب (نصير العفاف الاسلامي) •

أمل الشبيبة يتحقق بعد المشيب :

قال رحمه الله : كنت في عهد الصبا مع صفوة مختارة من لِداني وأترابي وأخداني نسبح سبحا طويلا في سماوات الخيال المجنح اللذيذ ، وكنا لا نفيق من سكر الوطنية ورحيق الحرية ، وأحلام الاماني الحلوة التي توحيها لنا مطالعاتنا في الكتب والمجلات خلال الربع الاول من هذا القرن ، والفكرة الوحيدة التي كانت تدور في رؤسنا ، وتجسد لنا الامل الباسم المداعب لارواحنا والمدغدغ لقلوبنا صباح ، مساء هو احياء مجد العروبة ومثلها الرفيعة ، وارساء قواعد الحكم والسيادة الوطنية على أساس العدل الاجتماعي ، والسماحة القومية الاسلامية ، ومن جملة تلك الاماني التي كنا نتمناها ونسعى في تعجيل تحقيقها هي احداث ثورة فكرية اجتماعية بيضاء تقتلع الجذور النخرة الخاوية ، والغروس العفنة التي غرسها في التربة العربة الحكم العثماني الفاسد المتداعي ، ومن ثم تطهير الحقل من البذور السامة التي بذرها رجال الاحتلال للقضاء على روح النهضة القومية واليقظة الوطنية ، وتحريم الاقطاع ، والاثراء غير المشروع ، وتخفيف ويلات الترف التي هي علة انحلال المجتمعات وانعدام الخصائص الخلقية في الامة • وليس من ينكر أنه كانت حكومات اقطاعية وحشية داخل الحكومة تصول وتجول بمقدرات البلاد والعباد ، تلك الحكومات هي المشيخات الجاهلية التي يدعم

سلطانها قانون العشائر الذي شطر تشريع الدولة الى شطرين : عشائري ومدني ، حتى أصبح ثلثا السكان يخضعون صاغرين لحكم الاعراف القبلية وشرائع الجاهلية الاولى ، التي حرمها الاسلام ودساتير القرن العشرين • وأخيرا شرع حماة الاقطاع بايحاء أسيادهم الانكليز قانون اللزمة والتسوية لينهب المشايخ البقية الباقية من الاراضي الاميرية ، واستعباد فلاحيها ، حتى أصبح الشيخ الاقطاعي عند اللزوم يهدد الحكومة ويخل بأمن البلاد بعبيده الفلاحين ، وتارة يهدد رعيته بسلطة الحكومة وسجونها ، وهي دائما عند اشارته وأمره المطاع ، لاشتراك منافعهما ، لهذا كنت وأصحابي نشعر ونجاهر باللسان والقلم بضرورة هدم كيان المشيخات والغاء والقوانين البدوية المجانفة لسنة التطور الاجتماعي والحضاري ، وتوزيع ما تحت سيطرة سلاطين الاقطاع من عشرات آلاف الافدنة على الفلاحين ، واكثرها كانت تبقى بوراً لا يستطيع الاقطاعي زراعتها بمرأى ومسمع من الحكومة المركزية التي لا تريد أن تكدر خاطر هؤلاء الكبراء الوهميين الذين هم صنع أيديها ، وقد تجلى وافتضح خواء تلك الجذوع المنقعرة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ • ولو عملت الحكومات الوطنية على ربط الفرد بالدولة وجعلته لا يدين لغيرها بالولاء وحمته من عبودية الاقطاعيين ، وحررته من سائر العبوديات الاقتصادية ، والمرضية ، والجهالة لكانت قد خلقت مجتمعا حضاريا عصريا •

تلك هي الاماني التي كنا نعلل أنفسنا بيوم الفتح في تحقيقها ، وهي يعلم الله ما كانت تفارق أذهاننا في الغدو والآصال • ومن المحزن أنه كلما يقوى صوت الجمهرة الواعية وتشتد صيحة طلاب الاصلاح تهب في وجوههم قوى الشر المجندة لكمّ الافواه ، وخضد قوى الخير المتمثلة في الشباب الصاعد المدرك ، وهكذا كان الصدام سجالا بين الرجعية الاقطاعية البليدة والرأسمالية المترفة الفاسقة الظالمة ، وبين طلائع التجديد والاصلاح ، وهكذا استمر المد والجزر • وبعد أربعين سنة تحققت بوادر الامل المنشود بتحديد

شرور الاقطاع ، والغاء نظامه ، والاجهاز على الرأسمالية المتحدية للدين والاخلاق والمثل الانسانية السامية .

تأملات في كلمات :

ومن التأملات التي أودعها مذكراته قوله :

١ – ان اولى مهمات الجامعات وأهل الدراسات العالية الحرة ، التي تستصبح بنور العقل والفكر الناضج المتحرر من العصبية الجاهلية ، والتعصب الاعمى المقيت ، هي القيام بغربلة التاريخ العربي الاسلامي ، نعم أصبح من الواجب المحتم تنقية تراثنا القديم مما شابه وشانه من الأساطير والخرافات الملفقة ، والتحقيق الدقيق عن هويات رواتها المجهولين .. الخ .

٢ – السم في الدسم :

من تطور التبشير الغربي الاستعماري في ربوع الشرق العربي والاسلامي هو تغيير أساليبه القديمة التي كانت تقوم بها المؤسسات التبشيرية على حساب الاستعمار هنا وهناك . ولما شعر الاستعمار عدم جدوى تلك الاساليب المفضوحة لجأ الى أسلوب جديد مبتكر خلاب فاتخذ طريق البحوث الجامعية ، واستخدام طريقة يطلقون عليها التحقيق العلمي ، أو التفكير الحر والمناقشة الحرة ، والغاية من وراء تلك العناوين والاسماء هي زرع بذور الريبة والشكوك في صدور شباب العرب والمسلمين ليخلعوا عنهم أثواب أمجادهم ومواريثهم المقدسة ، وليخرجوهم من النور الى الظلمات ، ظلمات الاستعمار الفكري والروحي بضياع سلاح العقيدة والايمان ، وتفكك عرا الاستمساك بشريعة القرآن وتعاليم الرسالة المحمدية التي أخرجتهم من جحيم العبودية الى جنات وفراديس الحرية ، وأنقذتهم من سلطان الاكاسرة والقياصرة ، ثم ليردوهم كرّة أخرى الى السيطرة الاجنبية .

ومن كلام له رحمه الله في قدسية اللغة وعظمة الكلمة :

قال تعالى : (الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ... ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار .)

لقد أشارت هذه الآية الكريمة الى سر دقيق قد غفل أكثر المفسرين ، بل أغلبهم عن بيانه ، ولم يذكروا من محاسن هذا التمثيل والتشبيه في الآية الا الاعمال الصالحة والطالحة ، وعند تأملي في معانيها الشريفة أدركت سراً جليلا من أسرارها العجيبة وهو لفت نظر العلماء والفهماء الى قيمة العقل اللغوي وقدسية لغة القرآن وتحبيبها للناس ، لان اللغة هي أصح التعابير لفهم عقلية الامة وتقدمها الفكري . وهي أقوى الروابط القومية ، ولا حياة ، ولا بقاء اذا فقدت مقومات لغتها وحيويتها . والكلمة في القرآن تفيد أكثر من معنى خطير ، أما معناها في هذه الآية عدا انها رمز الى عمل الخير والشر ، ففيها معنى أبعد من ذلك وهو الاشادة بلغة الكمال الانساني المطلوب لكل مؤمن في المثل القرآنية الرفيعة ، وهجر لغة النقص والشر والجهالة واللغو الفارغ ، فمن يحسن في رفع قدر اللغة ، ويجيد تمجيد شأنها ، ويدرك خطرها الكبير في الحياة يكثر خيره ويعم فضله في المجتمع الانساني كالشجرة الطيبة المباركة التي تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ، اما الجاهل المسيء لحرمات اللغة والمشوه لجمالها بأستعمالها في المنكرات والخبائث الاجتماعية وغيرها من وجوه الشرور فيكون قد خان الامانة الكبرى في معاملاته وعلاقاته مع بني الانسان قاطبة . وقد عظم الله شأن اللغة وأهميتها في حياة الامم والاقوام وتبليغ الرسالات السماوية ، فجعلها الامانة الكبرى على قول بعض المفسرين فقال تعالى : (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال .. الآية) وقد أيدت الدراسات الحديثة هذه الحقيقة القرآنية ، فعلى الانسان العربي أن يهتم بتقديس العربية ويحرص على شرف الحرف العربي ويؤدي أمانته في مجالات الخير ، ولخير الانسانية عامة ، لانها

أمانة الله الكبرى في عنقه ، وقد حمّله اياها بعد أن أشفقت السموات والارض والجبال أن يحملنها لثقل وزنها ، فتأمل قدسية الكلمة وعظمتها وكيف يجب الانسان ان يستخدمها بدليل قوله تعالى : (ان السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولا) صدق الله العظيم » .

ايها القاريء الكريم :

هل قرأت أو سمعت قبل هذا أسلوبا في تفسير آيات الله الكريمة كهذا الإسلوب المنطقي الرائع ، وهل استطاع أحد (قبل الفكيكي رحمه الله) ان يدلي بمثل هذه الآراء القيمة الناضجة في تفسيره ؟! اللهم لا .. !

ثم هلمّ معي ايها القارىء العزيز لنطلع على ما كتبه فقيدنا في المجتمع الذي لم يرتكز على قواعد رصينة من العدالة الاجتماعية والاصلاح المنشود في مختلف الميادين بسبب فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم قال رحمه الله في هذا الصدد .

المجتمع الشقي :

اذا ساد سوء الظن بين الشعب وحكومته فقدت الثقة بين الحاكم والمحكوم ، واختلت موازين العدل ، وسادت الفوضى ، وانعدم سلطان الرأي العام ، واستفحلت الاثرة والانانية ، فعلى امام الامة وقائدها ان يوثق عرا الثقة بين الراعي والرعية بما يحقق للرعية الاطمئنان براعيها ، وتوسيع رفاهيتها واستقرارها باشاعة العدالة في المجتمع وتأمين حقوق أفراده من اعتداء الأقوياء وانصافهم من الحكام الجائرين ، وعلى الرعية مقابل ذلك واجب الطاعة واحترام قوانين الدولة وانظمتها المشروعة وذلك لترسيخ قواعد الحكم الصالح واصلاح البلاد ، وبذلك تقوى روح التضامن ، ويشتد التعاون ، ويعم الرخاء ، وتنشر الطمأنينة والثقة بين الراعي والرعية ، أو الوكيل والموكل ، والا فاحكم على المجتمع بالشقاء والفناء ، واندبه بالبكاء

والعويل لخراب أخلاق القائد والمقود •

وقال طيب الله ثراه تحت عنوان :

الفرق بين الشرقي والغربي :

ان الاول يجهد جسده طول حياته لغاياته الروحية ، أما الثاني فلا يفكر بروحه ، وانما فيما يخترعه من وسائل تأمين حياة جسده وملاذه الحسية ، لهذا تراه قد شغف بحب السيطرة والاستعلاء على أخيه الشرقي واستعباده بلا رحمة ، والخير كل الخير في الاخذ بما يسعد الجسد والروح دون الاستئثار بحق الغير كما أمرت رسالة الاسلام ، فهي شرقية وغربية ، عادلة ، رحيمة •

وكتب رحمه الله تحت عنوان :

علاقة الحرية والحياة :

بين الحرية والحياة معنى مشترك غير قابل للتجزئة ، فاذا تعطل أحدهما انعدم وجود الثاني • فالحرية معشوقة الاحياء ، والعبودية محبوبة المسوخين من أموات الاحياء كما قال الشاعر الحكيم :

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء

وكتب أيضا ـ اغدق الله عليه شآبيب رحمته ـ في :

الاستعمار الفكري :

الاستعمار الفكري والروحي أشد شرا من الاستعمار السياسي والاقتصادي ، أي ان عبادة المبادىء الجديدة على علاتها ، وتقديس مقام أصحابها دون مناقشتها ومعرفة صلاحها من فسادها ، أو بصرف النظر عن ملاءمتها أو عدم موافقتها لحياة الامة وتاريخها وتقاليدها القومية ، بل لمجرد مكانة أربابها ، فهذا من العمى والضلال ، لان استعباد العقول واغلال الافكار

بآراء مبتدعة وفلسفات وجودية أجنبية ، هي أشد خطرا ، وأعمق تأثيرا ، وأسرع هدما لكيان المجتمع من جراثيم الوباء . ولكن من يسمع ويجيب ؟!

ومن سوانحه البليغة ، وخواطره البديعة ، عليه رحمة الله ورضوانه :

١ - الحرية أول كلمة مباركة قدستها ألسن الانبياء والرسل والحكماء ، وأفضل شهدائها المؤمنون بقدسيتها الذين قدسوا أرواحهم قربانا لنصرة رسالتها .

٢ - اذا فرت الحرية من باب ، دخلت العبودية من الباب الآخر .

٣ - اذا خفت صوت الاحرار ، ارتفع صوت الاشرار .

٤ أغرب الغرباء في عهد « الطاغية » الحرية ، وأضيع الاشياء (القانون) ، وأعز مفقودين يندبهما جميع الناس (جمال العدل) و (سلطان الضمير) .

٥ - معنى الثقافة عندي هي تكوين الانسان شخصيته ، وتهذيب منازعه بطرق من المعرفة والسلوك الخلقي ليرتقي الى افق الانسان الكامل ، وليس بشرط أن يتوفر على أكثر العلوم والمعارف .

٦ - الامة التي تتهاون بأقدار أحرارها محكوم عليها بالزوال .

٧ - ربما أذهب الشغب بالذهب ، وقضت الغوغاء على الرخاء .

٨ - ابعاد الاوغاد ربح للرعية والمجتمع .

٩ - مروض الاسد أشد عناء ومشقة من مصارعه .

١٠- الانصاف شاهد صدق على طهارة الضمير .

١١- خير الدساتير ما كان أبعدها أثرا في خدمة العدالة والحق والقانون .

١٢- الرحمة أعم من العدل .

١٣- كفى بالاستبداد شرا تقدم الاشرار على الاحرار الاخيار .

١٤ كم مؤمن شهيد ، قضت عليه زندقة السياسة ومرتزقة الدين .

١٥ـ اتعب الناس من كان غريبا بين الناس أي متميزا عنهم بخلال الخير وحسن السلوك فيعدّ غريبا في بيئته .

١٦ـ صوت المصلح الحر ، أرهب في صدر الطغاة من زئير الاسد في وحوش الفلاة .

١٧ـ ولاية غير الاكفاء بلاء ، وتولية الفضلاء خروج من الظلماء ورحمة للدهماء .

١٨ـ يا ويل للأمة اذا غنى شعراؤها بأعمال المستبد .

١٩ـ الرياء يفصم عرا الاخاء ، ويذهب بمودات الاخلاء ، وهو أسّ النفاق والملق .

٢٠ـ النقد البريء المجدي نور وهدى وتبصير للرعاة والولاة ، وتعليم وارشاد وتنوير للجيل الصاعد .

٢١ من جهل موضع العصا ، فهو بموضع السيف أجهل .

٢٢ـ خير السيوف ما اعتزت به جبهة الحق ، وانفلق بحدّه يافوخ الباطل ، وأذلّت بروقه أعناق الفراعنة ، وأغمد في جماجم الجبابرة .

٢٣ـ جنة الدنيا وجحيمها المرأة ، فزوج الصالحة في نعيم ، وزوج الطالحة في جحيم .

٢٤ـ تستحيل المساواة بين أصحاب المواهب المختلفة والقدرات النادرة المتباينة ، غير أنّ المساواة مطلوبة في تمكين هؤلاء جميعا من الحصول على حقوقهم وتيسير السبل لتكافؤ الفرص للجاهل والمتعلم والعالم على السواء .

اما بعد !

فتلكم نفحات من ترجمة فقيدنا الراحل ، وقبسات من فكره النير ، وكلهـا براهين صادقة على ما حباه الله من كرم الخليقـة ، ونبل النفس ، وخالص الجوهر ، وتوقد الذهن ، وعلو الهمة ، وصدق الوطنية .

ألا رحمك الله يا أبا أديب رحمة تنزلك منازل الابرار ، ورضي عنك مرضاة تحلّك مع المصطفين الاخيار ولتكن حياتك قدوة ، وذكرك خالدا

في رثاء توفيق الفكيكي

للأستاذ سلمان هادي الطعمة

هي دنيـــا شقاؤهـا مستديم ... نفد الصبر حين سادت هموم
اتمنى رؤياك في كـــل حين ... اين غام الوجه الاغر البسيم

شتت البين شملنا ودهـــانا ... يوم فارقتنا مصـــاب أليـــم
ان يوم النعي افقد رشدي ... عن فؤادي فالقلب منه كظيم

وبدت اوجه الورى كالحـات ... فيه فالصبح عابس مغمـــوم
مذ توارت رؤى الأحبة عني ... خانني الصبر واعتراني الوجوم

لهف نفسي للزهر يعصره الخطب فيذوي فـــلا عبـــير يـــدوم

والرؤى الشاحبات لم تبق ظلا ... في سمانا ، والليل جهم بهيم
ايه توفيق والخطوب كثـار ... اي قلب لا تعتريه هموم ؟

اي كرب اضنى قلوب رفاق ... دب فيهم اسىً وحزن عظيم ؟
اي خطب دهاك يا منبع العلم ... اعرني سـمعا فقلبي كليم ؟

* * *

كيف فارقتنا وفي كل قطـر ... لك قلب يهفو وخل حميم ؟
والليالي تمـــر عجلى كطيف ... عابر والردى عليهـــا يحوم

أمس كان الروض الانيق وسيماً ... ومن المنتدى يفـــوح الشميم
أين غامت عواطف لك تحلو ... وطباع بهـــن ذوق سـليم ؟

فقد العلم والفضيلة طـــوداً ... شامخاً والفراق خطب جسيم
فلئن غبت عن سـماء المعالي ... لك علم يزهو وفضل عميم

ان آثـــارك الخـــوالد شهب ... ليس تخفي ضياءهن الغيـوم
سوف تبقى منار مجد تليد ... كل قلب بالنور راح يهيـــم

لك أهـدي « أبا أديب » سـلاما ... ما تراءت شمس ولاحت نجوم

حسبنا دمعـــة ...

للأستاذ الشاعر العربي

محمد عبدالغني حسن

قم نوف الكرام بعض الحقوق ... نحن فوق التقصير فوق العقوق !
حســـبنا دمعـــة تعبر عمـــا ... في الحشا من تلهب وحريق
أنا أبكي على البعيد فمـا با ... ل بكائي على القريب الصديق
شهد الله لم يطعني اصطبـار ... خانني الصبر في أخي « توفيق »

* * * *

يا صديقي على انشعاب المناحى ... وحبيبي على اختلاف الطريق
شرعة الحب ألفت هدفينـــا ... فالتقينا مـــع احتمال الفروق
كنت ألقاك في بيانك سمحـا ... دائم البحث ، دائب التحقيق
كاشفا عن جمال يوم مجيد ... باحثا عن جلال ماض عريق
فاحصا ، غائصا وراء المعاني ... دائبـــا في التنقير والتدفيـق
تهب النور كل نور لعينيـ ... ـك وتعطي الغروب معنى الشروق
لم تضق لحظة بدرس عويص ... أو تضق ساعة ببحث عميق ...
ناسكا ، عاكفا على معبد العلـ ... ـم وفي روضه النضير الانيق
لك في كل صفحة من كتاب ... وقفات كأنهـــا « بالعقيق »[1]

* * *

يا صديقي ! وكم صداقة فكـر ... فوق حد التصوير والتصديق
كنت في نقدكم عنيفا ... ولكن ... كنت في حبكـم أرق رقيق[2] !

---

(١) العقيق : اسم لبعض الاودية الجميلة في اليمامة والمدينة وغيرها ، وقد جاء كثيرا في الشعر العربي . =

ما التقينا لقاء عين ... ولكن التقينا لقاء فكر وثيق
كم وداد بالروح صح ، فأضحى خاليا من شوائب التلفيق
وسع الحب كل شيء .. ويكفى أنه ، ثورة على التضييق ..!
لك في منتدى[٣] « سكينة » باع طيب الدن ، خالص الراووق !
كنت فيه محاميا عن فروض واجبات ، وذائدا عن حقوق
وعلى النخل[٤] باسقات لقينا لك فعرفتنا جمال البسوق !
أدب في القديم يدلى بعرق وله في الحديث بعض العروق ..
أدب النخلة التي قد أدلت فوق قاماتها بقد رشيق

* * *

ان منعاك هزني .. فكأني من فجاءاته غصصت بريقي !
جاءني والهموم يجدبن روضي والزمان الوريق غير وريق
كيف نرتاع من طروق المنايا وهي بالحي دائمات الطروق ؟
قد ألفنا صوت النعي ... ولكن حسبها ألفة لغير مطيق ...

= (٢) انتقد الشاعر بعض مؤلفات المرثى في مجلات مصر ، ولكن ذلك لم يؤثر في صداقة الفكر والروح بينهما .

(٣) للمرثي كتاب جيد ـ على صغره ـ عن السيدة سكينة بنت الحسين صاحبة الندوة المشهورة ، والكتاب دفاع صادق عنها .

(٤) للفقيد كتاب جيد عنوانه (شجرة العذراء يصورها أدب النخيل) جمع فيه ما قيل عن النخلة قديما وحديثا .

عواطف صادقة

في

رسائل الاصدقاء

وصلت الى لجنة التأبين رسائل كريمة ، بعث بها أصدقاء أفاضل ، معبرين فيها عن عواطفهم الصادقة تجاه فقد الاستاذ الفكيكي ، ننشرها ـ هنا ـ لتكون أماثيل للود الخالص ، والوفاء الصادق ، وشاكرين لهم أريحيتهم الكريمة ، ومشاعرهم النبيلة ،

وهي :

١ ـ رسالة الدكتورة بنت الشاطىء (عائشة عبدالرحمن) ٠

اخي الزميل الأستاذ عبدالله الجبوري

تحية التقدير والمودة ، وشكرا جميلا على دعوتكم اياي للمشاركة في تأبين فقيدنا الاستاذ الكبير توفيق الفكيكي ، وكم كنت أتمنى أن أبادر الى الاستجابة لولا أني أخشى ألا أكون قادرة على الوفاء بما ينبغي لفقيدنا من طيب الذكرى ، وأنا أجتاز محنة عصيبة منذ رحل عنا من كان يعطي حياتنا قيمة ومعنى ، وقد عجزت عن مساعدة ابنتي التي اغتال حزننا صحتها وتركتها في منتصف (اكتوبر) بمستشفى فينا لا تستجيب لطب أو دواء مع محنة رفضها للحياة ، وتقيم معها أختها الصغرى التي تخلت عن كل شيء هنا لترعاها في غربتها ٠

وفي مثل هذه المأساة ، لا أراني أهلا لان أكتب في فقيدنا الاستاذ الفكيكي وأرضاه له ، فهل لك يا أخي الزميل أن تعتذر عني مشكورا ؟ ٠

أثاب الله الفقيد الكريم ، على ما قدم لأمته ، وأطال الله بقاءكم ، خلفا المكرام الراحلين !

وسلاماً سلاماً ٠

المخلصة

عائشة عبدالرحمن

مصر الجديدة شارع ١٣ أمين الخولي

١٩٦٩/١٢/١٢م

٢ ـ رسالة الأستاذ الشاعر عدنان مردم بك .
حضرة الأخ الشاعر المبدع الأستاذ عبدالله الجبوري المحترم

اجمل تحية :

وصلت اليّ ويا للأسف نعوة الفقيد الاستاذ توفيق الفكيكي متأخرة ؛ ذلك اني كنت متغيباً عن دمشق أثناء عطلة الصيف .

وقد شقّ على نبأ وفاة المرحوم الاستاذ الفكيكي ، لان موته خسارة فادحة في ميداني الادب والقانون ؛ ولئن فاتني أن أقوم بتسطير كلمة البيان تأبيناً للفقيد الداحل بسبب ضيق الوقت فهيهات ان يغلبني الوقت على سكب دمعة سخية لذكرى ذلك الانسان النبيل والصديق الوفي ؛ ولربّ دمعة صادقة كانت ابلغ من قصيدة بليغة .

اني اتوجه الى آل الفقيد والى أصدقائه في بغداد بالعزاء ، سائلا المولى الرحمة للفقيد والصبر والسلوان الى اهله واصدقائه وانا لله وانا اليه راجعون .

عدنان مردم بك

دمشق ٥/١٠/١٩٦٩

٣ ـ رسالة الأستاذ السيد جمال الدين الآلوسي .
السادة لجنة تأبين الصديق الأديب توفيق الفكيكي رحمه الله رحمة واسعة

تحية مباركة وشكر الله صنيعكم وباركه وبعد

فان الذكر للانسان عمر ثان ، ومن حق الفقيد على آله واخوانه بل ومن حق الاموات على الاحياء ذكرهم وترديد صفاتهم وذلك للعبرة والقدوة وفي هذا ورد القول المأثور : اذكروا محاسن موتاكم : والفقيد الفكيكي موصولة حياته بمن خلّف وانجب ، وحيّاً ذكراه بما الف وكتب تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته والهمكم وآله الصبر الجميل والثواب الجزيل .

جمال الدين الآلوسي

مضـامين الكتـاب

الموضـــوع	الصفحة
صورة المرحوم الاستاذ توفيق الفكيكي	٥
بين يدي الكتاب	٧
الفصل الأول	٩
حيـاته وآثاره	
تمهيـــد	١٠
توفيق الفكيكي ، للشيخ اغا بزرك الطهراني	١٢
آثار توفيق الفكيكي	١٤
أولا ـ المطبوعة	١٤
ثانياً ـ المخطوطة	١٥
آثار الفكيكي في نظر الدارسين	١٦
كتاب الراعي والرعية ، دراسة ونقد للدكتور مصطفى جواد	١٧
الفصل الثاني	
ذكريات وتأملات	٢٣
تمهيـــد	٢٤
عهـد الصـبا	٢٧
أولَ من رفع العلم العربي في كرخ بغداد	٣٠
اتصالي بزعيم الثورة العراقية (السيد الصدر)	٣٠
تفيأت ظلال المشنقة الانكليزية	٣١

الموضـــوع	الصفحة
في مصنع الاحرار وبوتقة البطولة	٣١
رفقاء السجن	٣٢
الشيخ محسن الحسناوي	٣٤
ليلة الوداع لاعتلاء أرجوحة الابطال	٣٥
وزارة المعارف تغضب	٣٦
ندوة سياسية في مدرسة سامراء	٣٧
أسباب كره فيصل الاول لكلية الحقوق	٣٨
مسز بيل يغضبها مقالي فتعطل (المفيد)	٤٠
أمل الشبيبة يتحقق بعد المشيب	٤٢
العهد الذهبي للصحافة العراقية	٤٣
نصيحة مجرب لم اسمعها	٤٦
برقية احتجاج الى الدكتور طه حسين	٤٨
ملاحظـــة	٤٩
تأملات في كلمات	٤٩
غرور قومي تنكره عروبة الاسلام	٥٠
ادعـاء باطـل	٥٢
السم في الدسم	٥٣
قدسية اللغة وعظمة الكلمة	٥٧
النقد الذاتي وقوة الرأي العام في نظر العربي	٥٨
المجتمع الشقي	٥٩
الحضارة والمدنيـة	٦٠

الموضـــوع	الصفحة
الفرق بين الشرقي والغربي	٦١
يحرصون على سمعة كلابهم	٦١
علاقة الحرية والحياة	٦٢
الاستعمار الفكري	٦٢
سوانح وخواطر	٦٢
الفصل الثالث	٧١
حفـل التأبين	٧١
وصف الحفـل	٧٢
منهج الاحتفال	٧٣
افتتاحية عريف الحفل	٧٤
كلمة الشيخ علي الصغير	٧٥
الفقيد الجليل المرحوم الفكيكي ، للشيخ اغا بزرك الطهراني	٧٧
أبا أديب ، (قصيدة) للاستاذ حافظ جميل	٨٠
ضيف الغري ، لسماحة السيد محمد صادق الصدر	٨٣
أبا الاديب (قصيدة) للاستاذ راضي مهدي السعيد	٩٠
لمحات من حياة الفكيكي من خلال مكتبته ، للاستاذ خالد الدرة	٩٥
يا رائد الفكر (قصيدة) للشيخ حسين الصغير	٩٧
الفقيد الجليل الفكيكي مجموعة فضائل نادرة ، للاستاذ محمد علي البلاغي	١٠١
السجايا خير المراثي (قصيدة) للاستاذ خالد الشواف	١٠٥

الموضـــوع	الصفحة
اليراع المحزون (قصيدة) للاستاذ عبدالصاحب شكر	١٠٧
كلمة اسرة الفكيكي ، للدكتور أديب توفيق الفكيكي	١٠٩
الفصل الرابع	١١٣
صدى الرحيل	١١٣
كيف عرفت توفيق الفكيكي ، للاستاذ جعفر الخليلي	١١٤
في أربعين الفكيكي (قصيدة) للشيخ عبدالمهدي مطر	١٤٤
ذكرى أبي أديب ، للاستاذ السيد محمد حسن الطالقاني	١٤٧
إيه توفيق (قصيدة) للشيخ محمد رضا آل صادق	١٥٣
توفيق الفكيكي العالم الاديب ، للاستاذ أحمد حامد الشرقتي	١٥٦
في رثاء توفيق الفكيكي (قصيدة) للاستاذ سلمان هادي الطعمة	١٧٠
حسبنا دمعة (قصيدة) للاستاذ محمد عبدالغني حسن	١٧٢
عواطف صادقة في رسائل الأصدقاء	١٧٥
رسالة الدكتورة بنت الشاطىء	١٧٦
رسالة الاستاذ الشاعر عدنان مردم بك	١٧٧
رسالة الاستاذ السيد جمال الدين الالوسي	١٧٧
مضامين الكتاب	١٧٨

خزانة الفكيكي في مكتبة الأوقاف العامة

أبت أسرة المرحوم الاستاذ توفيق الفكيكي الاّ أن تتوج مكارم فقيدها الجليل بمكرمة نبيلة ، وذلك باهداء مكتبته العامرة الى مكتبة الاوقاف العامة ببغداد .

وبصنيعها الجميل هذا أرادت ـ عازمة ـ استمرار مجاري الخير والمعروف التي أجراها المرحوم الاستاذ الفكيكي في سنيّ حياته . و (الخزانة الفكيكية) عامرة بنوادر الآثار ونفائس الاسفار ، وحسبك انها معين مؤسسها الاستاذ توفيق الفكيكي في مباحثه الرائعة وتواليفه النفيسة ، وهي الآن تحمل اسمه الكريم في جناح خاص بها في مكتبة الاوقاف العامة .

و « **لمثل هذا فليعمل العاملون** » .

جدول التطبيعات

وقعت في الكتاب بعض الهنات الطباعية ، وهي ضئيلة جداً ، ونحن نشير هنا الى أظهرها ، وهي :

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ببذ	بيذ	٥٥	١٤
يجهل	يجهد	٦١	٢
ريح	ربح	٦٣	الاخير
توفبق	توفيق	٧٤	٩

يصدر قريبا :

من سلسلة آثار توفيق الفكيكي ..

دفاع عن شعراء ..

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢٩١ لسنة ١٩٧٠

٥٠/١٠٠٠/٢٠/١/١٩٧١

مطبعة الارشـــاد ـ بغداد

الثمن ربع دينار

GENERAL BOOKBINDING CO.
139N72 318
73 73C-26 4 P 6538
QUALITY CONTROL MARK C # 266 # 24

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU60679425
CT1919.I7 F83 Tawfiq al-Fukayki :